رمز المقرر	عدد الساعات
2-533265	ثلاث ساعات
أستاذ المادة	البريد الشبكي
أ/ هناء الردادي	heraddadi@hotmail.com

أولا : وصف المقرر :

يقوم مقرر الأدب في العصر الجاهلي بالوقوف على البيئة الجغرافية والحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والفكرية , لعلاقتها بتكوين الإنسان في العصر الجاهلي بصفة عامة والأديب بصفة خاصة .

كما يقف على الشعر الجاهلي ليوضح (قضاياه ,و ظواهره , وخصائصه وفنونه)

وكذلك يقف على أنواع النثر الفني في العصر الجاهلي ويوضح مفهومها وخصائصها ونماذج على كل نوع منها

ثانيا :الأهداف التعليمية :

من المتوقع في نهاية هذا المقرر أن الطالبة :

1- تعي تأثير الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية والدينية والبيئة الجغرافية على نتاج الأديب في العصر الجاهلي .
2- تكتسب القدرة على تذوق النصوص الأدبية .
3- تتعرف على بناء القصيدة الجاهلية وعلى علاقة شرائحها بالغرض الأساسي .
4- تتعرف على أهم الظواهر الأدبية في هذا العصر .
5- تلم بأهم الفنون الشعرية والنثرية التي وجدت في هذا العصر .
6- تستوعب قضية الانتحال في الشعر الجاهلي والهدف من إثارتها .
7- تجيد تحليل و تذوق نصوص أدبية من العصر الجاهلي .

ثالثا : مفردات مقرر الأدب في العصر الجاهلي :

	الوحدة الدراسية	موضوعات الوحدة
الأول	الأدب في العصر الجاهلي	تعريف الأدب (الدلالة اللغوية وتطورها , المفهوم الاصطلاحي) , عصور تاريخ الأدب , أقسام الجاهلية , وتفسيرات كلمة الجاهلية .
الثاني	الناحية الجغرافية الحياة السياسية الحياة الاجتماعية	أقسام شبه الجزيرة العربية , المناخ , النباتات , الحيوانات أقسام العرب (العرب البائدة , والعاربة , والمستعربة) (الطبقات الاجتماعية , الجوانب الايجابية ,الجوانب السلبية , مكانة المرأة)في المجتمع الجاهلي
الثالث	- الحياة الاقتصادية (معيشتهم) - و حالتهم الدينية - والحياة الفكرية	الموارد الاقتصادية لأهل البادية و أهل الحاضرة في العصر الجاهلي . المعتقدات والأديان في العصر الجاهلي مظاهر الحياة الفكرية والثقافية في العصر الجاهلي: 1-اللغة . 2- علم الأنساب . 3- المعارف الطبية . 1- المعارف الفلكية . 5- المدارك الغيبية .
الرابع	وسائل حفظ الشعر الجاهلي	1- الكتابة 2- الرواية : تعريفها – طبقات الرواة (الشعراء الرواة – رواة القبيلة – رواة الشاعر - رواة علماء) – وضع الرواية منذ العصر الجاهلي وحتى القرن الثاني الهجري .
الخامس	مصادر الشعر الجاهلي	1- الدواوين المفردة . 2- دواوين القبائل . 3- المختارات والطبقات (المعلقات- المفضليات – الأصمعيات - جمهرة أشعار العرب – ديوان حماسة لأبي تمام - حماسات أخرى) 4- مصادر أخرى للشعر الجاهلي (كتب النقد واللغة والأدب العام)
السادس	قضية الانتحال	- تعريف مصطلحات هذه القضية (النحل , الانتحال , الوضع) - دائرة قضية الانتحال : أ- عند القدماء ب- عند الباحثين المحدثين (1- عند المستشرقين 2- عند العرب)
السابع	الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي	تعريف الصعلكة لغة واصطلاحا , طوائف الصعاليك , تفسيرات وجود الصعاليك في العصر الجاهلي , موضوعات شعر الصعاليك , الظواهر الفنية في شعر الصعاليك , شعراء صعاليك (تأبط شرا , الشنفري , عروة بن الورد)
الثامن	شعر الأيام (الفرسان)	تعريفه , أسباب الحروب في العصر الجاهلي , أهم موضوعات شعر الفرسان , الخصائص الفنية لشعر الفرسان , نموذج لشعر الفرسان

التاسع	بناء القصيدة الجاهلية	أقسام الشعر الجاهلي فصول القصيدة العربية المركبة : 1- المطلع : - أنواع المطالع - تفسير النقاد لوجود المقدمة في القصيدة الجاهلية 2- الانتقال بين فصول القصيدة (الاقتضاب وحسن التخلص) 3- الخاتمة
العاشر	خصائص الشعر الجاهلي	الطابع البدوي , الواقعية والوضوح , التصوير , لغة الشعر الجاهلي .
الحادي عشر	النثر الفني في الأدب الجاهلي	أنواعه (الخطابة , الوصايا , الأمثال والحكم , المفاخرات والمناظرات) نماذج على هذه الأنواع , وخصائص كل نوع من أنواع النثر الفني

الأدب في العصر الجاهلي

نريد أن نتعرف على عنوان مادة الأدب في العصر الجاهلي بالتفصيل أولا تعريف الأدب ثم تاريخ الأدب الذي يوازي كلمة العصر ثم معنى الجاهلية .

* تعريف الأدب *

أولا ـ الدلالة اللغوية وتطورها :

تشتمل الدلالة اللغوية لكلمة أدب على ثلاث دلالات :

1- دلالة حسية :

تتمثل في معنى الدعوة للطعام , يمثله قول الشاعر طرفة بن العبد :

نحن في المشتاةِ[1] ندعو الجَفَلى[2]
لا ترى الآدب منا ينتقر[3]

فالآدب ـ هنا ـ تعني الذي يدعو غيره إلى الطعام فهو لا ينفرد به , بل يحرص على أن تكون دعوته عامة يصيب منها الجميع .

2- دلالة معنوية :

تدل على معنى التهذيب الخلقي , وما زالت هذه الدلالة شائعة حتى عصرنا هذا , وقد استمرت عبر العصور المختلفة .

يقول الشاعر الجاهلي بلعاء بن قيس :

وإن أمُت والفتى رهن بمصرعه
فقد قضيت من الآداب آرابا

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (أدبني ربي فأحسن تأديبي)

3- دلالة علمية تربوية :

وهذه الدلالة تقترب من معنى الثقافة ونقل المعرفة , فالأدب هو الأخذ من كل علم بطرف , وقد كان يطلق على المعلمين الذين يقومون على تعليم أبناء الخاصة من الخلفاء والحكام اسم المؤدبين .

---

[1] ـ فصل الشتاء
[2] ـ الجمع من الناس
[3] ـ يختار

وقد ظلت هذه الدلالات المختلفة وطيدة الصلة بالكلمة على مر العصور وتفرعت منها دلالات مختلفة فيما بعد , وفقا لسنة الله في خلقة

- فقد أطلقت على الكتب التي تتضمن حكما ونصائح وإرشادات مثل : (الأدب الكبير) و (الأدب الصغير) لابن المقفع .
- وأطلقت على الكتب التي تتناول التقاليد والرسوم التي ينبغي أن تراعى في أي مهنة , مثل : (أدب الكاتب) لابن قتيبة
- وأطلقت على ما يتعلق بالنثر والشعر والبلاغة وعلوم اللغة كما في كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ وكتاب (الكامل) للمبَرِد

وفي العصر الحديث شرع الباحثون في وضع معنيين لكلمة أدب :

أ – معنى عام :

ويراد به جميع ما كتب في لغة ما , سواء في العلوم أو في الشعر والنثر الفني أو في أي فرع من فروع المعرفة من تاريخ أو جغرافيا أو فلسفة أو دين أو طب أو فلك وما إلى ذلك من وجوه النشاط الفكري المدون في لغة من اللغات .

ب – معنى خاص :

وهو ما نعنيه الآن بكلمة أدب , أي الشعر والنثر الفني , وهذا المعنى الخاص للأدب هو الشائع لدى المؤرخين .

ثانيا : المفهوم الاصطلاحي:

- الأدب هو الكلام البليغ الصادر عن عاطفة المؤثر في النفوس .
- أو هو التعبير عن تجربة إنسانية بلغة تصويرية , هدفها التأثير , في شكل فني جمالي قادر على توصيل تلك التجربة .
- أو هو الكلام الإنشائي البليغ الذي يُقصد به إلى التأثير في عواطف القراء والسامعين سواء أكان شعرًا أم نثرًا .

وتتعدد تعريفات الأدب لاتساعه ولاعتماده على الذوق ولاختلاف توجهات الدارسين له .

* تاريخ الأدب *

الدارس لتاريخ الأدب لأمة من الأمم , **إما أن يلتزم المعنى العام لكلمة أدب** فيؤرخ لأعلام الثقافة والفكر والأدب , **وإما أن يلتزم بالمعنى الخاص** , فيؤرخ للشعراء والكتاب تاريخًا خاصًا بالأدب وتطوره وظواهره , مع مقدمات تاريخية واجتماعية وثقافية عامة , ومع بحث شخصيات الأدباء ومذاهبهم الفنية بحثًا تاريخيًا نقديًا تحليليًا .

عصور تاريخ الأدب :

اصطلح المؤرخون على تقسيم الأدب العربي إلى عصور , يستقل كل عصر منها بفترة زمنية معينة , وهذه العصور هي :

1- العصر الجاهلي : أو عصر ما قبل الإسلام
2- عصر صدر الإسلام : ويبدأ بظهور الإسلام وينتهي بانتهاء حكم الخلفاء الراشدين وبدء حكم بني أمية سنة 41 هـ
3- العصر الأموي : ويبدأ بولاية معاوية بن أبي سفيان سنة 41 هـ وينتهي بسقوط دولة بني أمية وقيام الدولة العباسية 132 هـ .
4- العصر العباسي : ويبدأ من سنة 132 هـ ويستمر إلى سقوط بغداد ـ عاصمة الدولة العباسية ـ في يد التتار سنة 656 هـ .

فهناك من يقسم هذا العصر إلى أربعة أقسام :

أ- العصر العباسي الأول : يمتد مائة عام منذ سنة 132هـ إلى سنة 232هـ .
ب-العصر العباسي الثاني : و يمتد أيضا نحو مائة عام منذ 232هـ إلى سنة 334هـ .
ت-العصر العباسي الثالث : منذ سنة 334هـ إلى 447هـ .
ث-العصر العباسي الرابع : ويستمر إلى نهاية العصر سنة 656هـ .

ومن المؤرخون من يقسم العصر العباسي إلى قسمين , حيث يجعل العصرين الأول والثاني عصرا واحدا يسمونه العصر العباسي الأول , ثم يجعل العصرين الثالث والرابع عصرا وثانيا , واعتمدوا في هذا التقسيم على قوة الخلفاء وضعفهم فالعصر الأول يمثل فترة الخلفاء الأقوياء والعصر الثاني يمثل فترة الخلفاء الضعفاء .

5- عصر الدول المتتابعة : ويبدأ منذ سقوط الدولة العباسية على يد التتار سنة 656هـ , وينتهي في بداية القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)
6- العصر الحديث : وهو منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادي إلى الآن . وثمة خلاف يسير حول بدايته , إذ يرى فريق من المؤرخين أنه يبدأ بمجيء الحملة الفرنسية إلى مصر سنة 1798م , بينما يرى آخرون أنه يبدأ برحيلها وتولي محمد علي حكم مصر سنة 1801م .

تلك هي تقسيمات عصور تاريخ الأدب العربي , وهي تقسيمات قد تختلف تفاصيلها من باحث إلى آخر , ولكن صورتها العامة لا تتغير .

ولعلنا نلاحظ أن هذه التقسيمات تعتمد في بداياتها ونهاياتها ـ غالبا ـ على الأحداث السياسية التي مرت بها الأمة العربية , أي أنها تعتمد على الربط بين حركة الأدب وحركة التاريخ , استنادا إلى أن أحداث التاريخ المهمة تؤثر في كثير من الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والفكرية وهي أوضاع تؤثر في الأدب كما تتأثر به , ومن ثم يكون لكل عصر من العصور سماته وطوابعه , وهذا لا يعني استقلال كل عصر بطوابع أدبية تختلف اختلافا كبيرا عن طوابع العصر السابق أو اللاحق في كل الأحوال , وإنما الأمر الطبيعي أن يكون ثمة امتداد أو خط موصول عبر العصر وسابقه ولاحقه , أو قل أوجه تشابه في الخصائص الأدبية , وأن تكون بدايات كل عصر أكثر اتصالا وتشابها بنهايات العصر السابق , ذلك أن التغيرات السياسية أو غيرها من التغيرات لا تستطيع طفرة أن تمحو التربية السابقة أو الثقافة الموروثة بكل عناصرها ومقوماتها إذ لا يتحقق ذلك غلا بعد زمن طويل , ومعنى هذا أن الخط الفاصل بين كل عصرين خط وهمي أو تقريبي , وأن الانتقال من حال إلى حال في مجال الأدب لا يحصل إلا بالتدريج الذي لا يشعر فيه المرء بالفرق بين الدرجتين المتجاورتين .

و الهدف من تقسيم الأدب إلى عصور أدبية هو التسهيل على الدارسين .

* العصر الجاهلي *

اصطلح مؤرخو الأدب على تسمية الفترة التي عاشها العرب في الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام بالجاهلية , وقسموا هذه الفترة قسمين :

- الجاهلية الأولى :

هي الفترة التي تمتد إلى الوراء حقبا و أزمانا لا نعلم من أمر الأدب فيها شيئا .

- الجاهلية الثانية :

هي التي تلي زمنيا الجاهلية الأولى , وتشغل نحو مائتي سنة قبل ظهور الإسلام , وهي الفترة التي وصل إلينا منها شعر بعض شعرائها أو كثير منه ويبدأ بزمن نشوب حرب البسوس بين قبيلتي بكر وتغلب , حيث أقدم الأشعار التي يمكن أن ترجح صحتها .

ومعنى هذا أن البحث الأدبي يقتصر على فترة من ذلك الزمن الممتد قبل الإسلام , وهي الفترة التي تشغل نحو قرنين من الزمان , وهي الفترة التي اتفق المؤرخون على تسميتها بالعصر الجاهلي , وليس معنى هذا أنه لم يكن ثمة شعر وشعراء قبل حرب البسوس , أو قبل ما نسميه بالعصر الجاهلي , وإنما كان هناك شعر وشعراء , ذلك أن الشعر الجاهلي منذ أقدم نصوصه التي وصلت إلينا قد اكتملت له مقوماته الفنية بدءا من طرائق التعبير , وانتهاء بالموسيقى من وزن وتقفية .

وهذا يعني أنه مرت حقب طويلة قبل أن يستقر للشعر الجاهلي سماته وخصائصه . وجل ما في الأمر أنه لم تصل إلينا أشعار عن تلك المرحلة المتقدمة .

فنجد في الشعر الجاهلي إشارات إلى شعراء سابقين عبَّدوا طريق الفن , حيث يقول الشاعر امرؤ القيس :

عُوجَا على الطلل المُحيل لأننا

نبكي الديار كما بكى ابن حِذام

فامرؤ القيس يأمر صاحبيه بأن يمرا على الطلل لأن من عادة الشعراء أن يبكوا الديار كما بكاها من قبل ابن حِذام .

وكما وقف الباحثون عند كلمة أدب , وقفوا كذلك عند كلمة (جاهلية) وفسروها تفسيرات كثيرة ,استندوا فيها إلى ما شاع عن أخلاقيات بعض عرب الجاهلية ومعارفهم , قياسا على الأخلاقيات التي نادى بها الإسلام . ويذهبون إلى أن الجهل هنا يعني الطيش والسفه فهو مناقض للحلم ومكارم الأخلاق , وهو المعنى الذي نجده في الشعر الجاهلي , حيث يقول عمرو بن كلثوم في معلقته :

ألا لا يجهلن أحد علينا *** فنجهل فوق جهل الجاهلينا

كما نجده في قوله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)

وليس هذا المعنى وحده الذي تجده لكلمة الجهل بل لها معان أخرى كثيرة وعديدة .

*العوامل المؤثرة في الأدب الجاهلي *

أولا : العامل البيئي الجغرافي :

يطلق على شبه الجزيرة العربية اسم جزيرة تجوزا , لأن الماء يحيط بها من ثلاث جهات .

وهي أكبر شبه جزيرة على وجه الأرض , ويحدها من الشرق الخليج العربي وبحر عمان , ومن الجنوب المحيط الهندي , ومن الغرب البحر الأحمر , أما حدودها الشمالية فغير واضحة المعالم في ذلك الوقت ويمكن اعتبارها خطا وهميا يتجه شرقا من رأس خليج العقبة حتى العراق .

ويقسم جغرافيو العرب شبه الجزيرة خمسة أقسام : تهامة والحجاز ونجد والعَروض واليمن .

1- تهامة :
هي المنطقة الساحلية المحاذية للبحر الأحمر من الشمال إلى الجنوب وهي منطقة ضيقة . وتسمى تهامة أحيانا بالغَوْر لانخفاض أرضها كما تُذكر أحيانا مضافة إلى القسم الذي تحاذيه فيقال : تهامة اليمن وتهامة الحجاز .
ويحد تهامة من الشرق سلسلة جبال السراة المحاذية لساحل البحر الأحمر من الشمال إلى الجنوب
2- العَروض :
تشمل اليمامة والبحرين وما والاها , وفيها مرتفعات وأغوار لقربها من البحر . وقد عد ياقوت الحموي في معجم البلدان اليمامة من نجد . وتمتد البحرين من البصرة إلى عمان وتشمل الآن الكويت والإحساء وجزر البحرين وقطر والإمارات والقسم المطل على مضيق هرمز من سلطنة عمان .
3- اليمن :
يطلق على جنوب الجزيرة العربية اسم اليمن , ويشمل : حضرموت , والشَحَر , ومُهْرَة وعُمان
4- نجد :
تتصل هضبة نجد بأرض العَروض ويسمي العرب الجزء المرتفع من نجد مما يلي الحجاز **العالية** , والجزء المنخفض مما يلي العراق **بالسافلة** , وجانبها الشرقي المتصل ببلاد اليمامة باسم **الوُشوم** , وشمالها على جبلي طيء - أجا وسلمى - باسم **القصيم** , وتحيط بها من الشمال والجنوب والشرق صحارى واسعة (الدهناء والربع الخالي) .
5- الحجاز :
تشتهر فيها مدن وقرى مثل : مكة ويثرب وخيبر .
وهي تقع على طريق القوافل التجارية سواء توجهت من الشمال إلى الجنوب أم من الجنوب على الشمال .

المناخ :
أودى وقوع الجزيرة العربية في المنطقة القريبة من خط الاستواء إلى اشتداد الحرارة صيفا ونظرا لجفاف الصحراء , فإن مناخها متطرف في حرارته وبرودته ولهذا التطرف في المناخ أثر كبير في حياة البدو , فقد تهطل الأمطار بغزارة فتحدث السيول , ثم تعقبها فترة طويلة من الجفاف التام الذي يدفع البدو إلى الرحيل بحثا عن أماكن معشبة .

النباتات :
من أهم النباتات في الجزيرة العربية النخيل الذي يكثر في الحجاز واليمامة , والقمح والبُنْ في اليمن وبعض الواحات التي شهدت حياة مستقرة . كما توجد عدة أنواع من الشجر في البادية كالأثل والغضا و الطلح .

الحيوانات :
أما الحيوانات فمنها المتوحش أو غير الداجن , ومنها الداجن , فمن النوع الأول : الأسد والفهد والذئب والضب وحمار الوحش وثور الوحش والظبي والغزال . ومن النوع الثاني الأليف : الغراب والقُبَّرة والقطا كما عرف أهل الجزيرة تربية النحل واشتهرت به قبيلة هذيل .

أثر العامل البيئي على الأدب في العصر الجاهلي يظهر في :

1- وجود سنن المقدمة الطللية في القصيدة الجاهلية , كنتيجة للانتقال من مكان إلى آخر , فقد وقف الشعراء على أطلال ديار الراحلين من الأحبة فبكوهم و ذكروا ديارهم كيف أصبحت من بعدهم فأصبح ذلك عادة للشعراء في بداية قصائدهم .
2- خشونة الألفاظ ووعورتها لدى الشعراء الذين عاشوا في البادية نتيجة لصعوبة الحياة وقسوتها , بخلاف الشعراء الذين عاشوا في الحاضرة فقد رقة ألفاظهم وسهلة تبعا لحياتهم المستقرة .
3- انحصار خيال الشاعر في البيئة المحيطة به , فصور الشاعر الجاهلي لا تتعدى بيئته المحيطة به لذلك نستطيع أن نصور البيئة الجاهلية من خلال الشعر الجاهلي لأنه لم يغادر تلك البيئة فصور جبالها و وهادها و وحيواناتها وأشجارها وصحاريها ..الخ .

ثانيا : العامل السياسي :

يقسم العرب إلى ثلاثة عروق :

1- العرب البائدة :

هم أولاد سام بن نوح الذين استوطنوا بلاد شبه الجزيرة العربية , ونشأ منهم قبائل وبطون كثيرة وباد أكثرها أو فني في غيره حتى لم يبق له أثر يذكر , وهي على ما قيل سبع قبائل : عاد , ثمود , صِحار , جاسم , وبار , طَسْم , جَديس . وكانت مساكنهم بعمان والبحرين واليمامة , وكانت لغتهم غليظة خشنة .

2- العرب العاربة :(القبائل القحطانية)

وهم عرب اليمن , ويعرفون بعرب الجنوب وقد هاجر أكثرهم إلى الشمال ، إلا بقية منهم بقيت في اليمن , وينسبون إلى يعرب بن قحطان الذي قيل إن العرب سُميت (عربا) نسبة إليه , وكان أول من ابتدأ بعمارة المدن في اليمن , ومن نسله حِمير وكهلان .

3- العرب المستعربة : (القبائل العدنانية)

وهم عرب الشمال من نسل عدنان , ومنهم الحجازيون والنجديون والأنباط وأهل تدمر, ومن قبائلهم نِزار وربيعة ومضر وبكر وتغلب وذبيان وقريش , ويقال لهم العدنانيون والنزاريون .

وقد تجاورت القبائل العدنانية والقحطانية في الجزيرة العربية , ولم يكن لهذه القبائل دولة تضمهم , ولا نظام موحد يسودهم , بل كانت كل قبيلة تكّون وحدة اجتماعية وسياسية مستقلة , رابطها النسب والدم , وهذه القبائل متشابهة في تكوينها ونظامها , فكل قبيلة تقوم على أساس اشتراك أبنائها في الأصل الواحد والموطن الواحد وقد يكون هذا الموطن غير مستقر متنقلا مع المرعى , وتجمع أفراد القبيلة تقاليد وأعراف تتمسك بها وتحترمها , ولكن الرابط الأقوى هو العصبية التي يحرص الفرد عليها , ويبذل في سبيلها ما يملك حتى دمه .

وحياة العرب في الجاهلية لم تكن مقتصرة على هذا الشكل القبلي العصبي , فقد أنشأ العرب في قلب الجزيرة وأطرافها في هذه الفترة ثلاث إمارات : إمارة المناذرة في العراق , والغساسنة في الشام , وكندة في شمالي نجد عند دومة الجندل .

و المناذرة و الغساسنة كانتا على حدود فارس والروم وكانت العلاقة بينهما علاقة حرب ودماء وثارات .

أثر العامل السياسي في الأدب الجاهلي يظهر في :

1- حضور الشخصية القبلية في قصائد الشعراء في هذا العصر لوجود العصبية القبلية بين الشاعر وقبيلته التي كان لسانا لها , مما أدى إلى ظهور ضمير الجمع " نحن " في قصائدهم واختفاء ضمير الفرد " أنا " .

2- انتشار الشعر الجاهلي والعناية به ومعرفة مكانته , فالقبيلة كانت تعنى بالشعر والشعراء لأنهم ينافحون عنهم ويسجلون مآثرهم ويفخرون بها , والإمارات كانت تجذبهم إلى حياضها ليرفعوا من شأنهم وليهجوا أعداهم .

ثالثا : العامل الاجتماعي :

العرب في الجزيرة العربية قسمان : أهل وبر وبادية , وأهل مدر وحاضرة , فالمناطق التي يجودها المطر وتكثر فيها المياه والآبار , تكون مناطق زرع ورعي واستقرار , ثم تقوم فيها الأبنية ويكثر العمران وتنشأ أسباب الحضارة , وتنشط التجارة والأسواق , وسكان هذه المناطق هم أهل المدن التي كانت حول الجزيرة , في الحجاز واليمن والعراق والشام , وقليلا ما تكون في قلب الجزيرة , لأنها صحراوية أو جبلية مجدبة , الحياة فيها قاسية , فلا تتفق والحياة المستقرة فيحتاج لذلك سكانها إلى الرحلة والنقلة , طلبا لمساقط الغيث ومنابت الكلأ وهؤلاء هم أهل البادية .

الطبقات الاجتماعية في المجتمع الجاهلي :

تلك القبائل التي سكنت البوادي أو التي سكنت الحواضر , لم تكن طبقة واحدة مساوية وإنما هي ثلاث طوائف اجتماعية : أبناء القبيلة ومواليها وعبيدها .

أ- أبناء القبلة الخلص :

أبناء القبلة الخلص هم الذين ينتمون إليها بالدم , وهم عماد القبيلة وقوامها وعليهم واجب حمايتها والدفاع عنها والعصبية لها .

ب- الموالي :

وهم أدنى منزلة من أبناء القبيلة , وهؤلاء إما أن يكونوا :

1- موالي بالجوار والحلف :

وهو أن يحتمي بعض الأفراد بقبيلة أخرى غير قبيلتهم , فتتعهد بحمايتهم , أو يحتمي بفرد من أبناء القبيلة فيكون مولاه ويعيش في ظل القبيلة ولكل منهما أن يرث صاحبه إذا مات قبله , وحقوق المولى لا تبلغ حقوق الأصيل , فلا يستطيع المولى أن يجير على القبيلة كما يجير ابنها عليها .

2- الموالي الخلعاء :

الموالي الخلعاء هم الذين خلعتهم قبائلهم لكثرة جناياتهم فيستجير احدهم بقبيلة أخرى فتجيره , ويكون كأحد أبنائها له مالهم وعليه ما عليهم .

ومن هؤلاء الخلعاء طائفة الصعاليك كالشنفري وتأبط شرا وعروة بن الورد وغيرهم

3- ومن الموالي ايضا العبيد المعتقون , فهم في حماية القبيلة وتكون العلاقة بين المعتق والعتيق الولاء , فلا ينسى العتيق فضل سيده وحسن صنيعه .

ت- العبيد :

وكانوا عادة من أسرى الحروب أو ممن يجلب من الأمم الأخرى كالأحباش (الرقيق الأسود) المجلوب من الحبشة وما حولها وكان هؤلاء العبيد أقل مكانة من الموالي , ويقومون بالأعمال الشاقة المرهقة وكانت حالتهم بائسة مزرية , ولاسيما الذين كانوا في ملك أناس قساة القلوب غلاظ الأكباد .

ويجمع أبناء القبيلة هؤلاء ـ الخلص منهم والموالي والعبيد ـ ولاء وعصبية و تضامن أحكم عراه حرصهم على شرف القبيلة ومجدها فالإخلاص للقبيلة رابط وثيق بين الجميع .

الجوانب الايجابية في المجتمع الجاهلي :

لم يكن أمر القبيلة فوضى ـ كما قد يبدو ـ بل كانت هناك أصول مرعية في داخلها تنظم علاقة الأفراد بعضهم ببعض , كما أن لها نظامها الخارجي الذي يحدد صلاتها بالقبائل الأخرى , وهناك روابط عامة ومثل عليا يلتقي عندها العرب جميعا , لأنهم يرون فيها بغيتهم التي تكسبهم العزة والرفعة والمجد والذكر الحميد , وتلك المثل هي : الكرم والأمانة والوفاء وحماية الجار والحلم وسعة الصدر والإعراض عن شتم اللئيم والنجدة والقوة والصبر عند البلاء .

1- الكرم :

إن أبرز خصلة يعتز بها العربي ويتميز بها عن غيره الكرم والسماحة والبذل , ومهما قيل عن أسباب الكرم ودوافعه عند العرب من قسوة الحياة , وجدب الصحراء , والمحل وانتشار الفقر , ونفاذ الزاد , فإن الكرم في العرب سجية متأصلة في نفوسهم , فهم يلقون الضيف لحم الشياه والإبل , ولم يكن كرمهم خاصا ضيق الحدود , بل كانوا يكرمون الغريب والبعيد , من يعرفونه ومن لا يعرفونه , حتى عدوهم إذا نزل فيهم استبشروا بمقدمه وأكرموا وفادته , وكانوا يكرمون الأغنياء والفقراء , ولا يتركون وسيلة لهداية الضيفان إليهم إلا فعلوها , فهم يوقدون النار ليلا ليهتدي بضوئها من يراها , وكان بعضهم يوقد النار بحطب طيب الرائحة ليهتدي بهذه الرائحة من فقد نعمة البصر .

2- القوة والشجاعة :

كانت طبيعة الحياة العربية تتطلب القوة والشجاعة والإقدام وركوب المخاطر والتجلد للمكاره والخطوب , وقد دهاهم إلى ذلك طبيعة الحياة المضطربة القائمة على الغزو والغارة والعداء , فما أسرع استعار الحروب لأمور ذات خطر أو ليست بذات خطر , ودواعي الحرب كثيرة عندهم فقد يتنافسون على شرف ورياسة أو يتنازعون على ماء أو مرعى أو تكون طلبا لثأر قديم أو غارة أو مفاخرة .

لذلك لابد في هذا المجتمع الحربي من القوة لأنها السبيل الوحيد للحياة الكريمة , فهم يحتقرون الضعيف لأن مظهر الذل والهوان وقد مُلئ شعرهم بذكر الشجاعة والبطش والقوة , وأكرم الموت عندهم في ساحات القتال وهم يمقتون الميتة حتف الأنف في غير ميادين القتال .

3- حفظ الجوار والوفاء بالعهد :

كان العرب يحرصون على المثل العالية والخصال النبيلة , ويفخرون بأدائها والوفاء بحقها , ومن تلك الخصال حفظ الجوار والوفاء بالعهد فهم يحرصون على جارهم حرصهم على شرفهم , سئل أعرابي عن مبلغ حفاظ قومه فقال : (يدفع الرجل منا عمن استجار به من غير قومه كدفاعه عن نفسه) .

وقد فطنوا لخصال الخير فذكروها في فخرهم معتزين بنسبتها إليهم , كالنجدة وحماية الضعيف والعفو عند المقدرة والحِلم والتسامح , وكانوا مع ذلك يأبون الضيم ويأنفون من الذل والهوان , ولو ركبوا في سبيل ذلك المخاطر .

الجوانب السلبية في المجتمع الجاهلي : -

1- شرب الخمر :

يعد الخمر عند العرب من أهم متع الحياة وقل أن تجد شاعرا في الجاهلية لا يذكر الخمر , فهي مظهر من مظاهر الفتوة والشباب والقوة يقول حسان بن ثابت :

ونشربها فتتركنا ملوكا **** وأُسدا ما ينهنهنا اللقاء

وقد عنى العرب بالخمر ومجالسها , فوصفوها مدققين بوصفها , وذكر أنوعها وكؤوسها وندمانها , وكانت مجالس الخمر تستكمل بالغناء , حيث تغني القيان أو ترقص في هذه المجالس .

ووجد في العرب من يدمن شربها فتعبث بعقله وسلوكه , حتى تضيق به قبيلته فتخلعه متبرئة من جرائره .

على أن من عقلاء العرب في الجاهلية من أعرض عن الخمر وترفع عن شربها , لما تفعله في الإنسان من ذهاب العقل والحلم والوقار ومن أولئك عباس بن مرداس وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وأبي بكر وغيرهم , وقد روي عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت : " ما شرب أبو بكر رحمة الله عليه خمرا في جاهلية ولا إسلام " .

وقد قيل للعباس بن مرداس في جاهليته : " لم لا تشرب الخمر فإنها تزيد في جرأتك , فقال: ما أنا بآخذ جهلي بيدي فأدخله في جوفي وأصبح سيد قومي وأمسي سفيههم " .

2- القمار والميسر :

تمدح العرب في الجاهلية بالميسر لأنه وسيلة من وسائل الإنفاق والكرم وإطعام الفقراء , فقد كانوا يعطون الفقراء وذوي الحاجة نصيبهم من الجزور حين يربحون , وكانوا يرون أن من كمال الفتوة والكرم أن يقامر الرجل , لكن القمار والميسر فيه أخذ لأموال الغير بدون وجه حق .

3- وأد البنات :

إن عادة وأد البنات لم تكن في بلاد العرب كلها و إنما كانت في بعض القبائل مثل تميم و أسد وبكر وكنده و قريش

ويُذكر أنه كان يتم وأد البنات على جبل أبي قبيس , كما أن هناك من العرب من كان يحيي الموؤدات أي يمنع وأد البنات وذلك عن طريق شراء البنت من والدها , وكان من أهم أسباب إقدام الرجل على وأد ابنته : خشية الفقر وخشية العار من سقوطهن أسرى في يد الأعداء. ولقد وجدت في المجتمع الجاهلي عادات سلبية غير الخمر والميسر تتمثل في التمتع بالنساء وأكل الربا واخذ الثأر .

أثر العامل الاجتماعي في الأدب الجاهلي يظهر في الإكثار من ذكر الصفات الايجابية والفخر بها فالشعر الجاهلي يحفل بالكرم والشجاعة والقوة والنجدة و الوفاء , كما أنه يزخر بوصف الخمر فلا يترك شيئا من مجالسه دون أن يصفه .

رابعا : العامل الديني :

كان في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام أديان ومعتقدات مختلفة , تبعا لقدرتهم على التفكير الديني , أو تأثرهم بالأديان السابقة , أو اختلاطهم بأهل الأديان التي لها أصل سماوي . فكان فيهم الموحدون , والوثنيون , واليهود , والنصارى , والمجوس , والزنادقة , والصابئة .

1- الموحدون : الموحدون من العرب قبل الإسلام كانوا قليلين , وعبدوا الله وحده ولم يشركوا معه في عبادته شيئا آخر , ويقولون إنه كان منهم : ورقة بن نوفل , وقس بن ساعدة الإيادي , وزهير بن أبي سلمى , وأمية بن أبي الصلت , ومنهم كذلك النابغة الجعدي الذي يقال عنه انه أنكر في الجاهلية الخمر , وهجر الأوثان والأزلام , قال في الجاهلية :

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلم

2- الصابئة : هم الذين كانوا يعبدون الكواكب , وهم يعتقدون في الأنواء ويقولون إن من دان بذلك من العرب قبائل سبأ الحميرية , إذ كانوا يعبدون الشمس , وقد ورد ذكر ذلك في القرآن الكريم , كما يقولون إن كنانة كانت تعبد القمر , وكان بنو جرهم ولخم يسجدون للمشتري , وقريش عبدوا الشعرى العبور , وهي الشعرى اليمانية . ويقال من آثار عبادة الكواكب ما جاء من أسمائهم مثل عبد شمس . كما يقولون إن من بقايا آثار عبادة الشمس ما يفعله الغلام إذا سقطت سنه .

3-المجوسية : هي عبادة النار , وكانت المجوسية في العرب في تميم . ومن آثار هذه الديانة نار الحلف , وحلفهم بالرماد والنار , ومن مذهبهم زواج البنات .

4-الزندقة : الزنديق : من الثانوية , والثانوية يعتقدوا أصحابها أن الصانع اثنان فاعل الخير نور وفاعل الشر ظلمة , وهما مختلفان في النفس والصورة متضادان في العقل والتدبير , فالنور فاضل حسن تقي طيب الريح حسن المنظر ونفسه خيرة كريمة حكيمة نفاعة , وليس فيها شيء من الضرر والظلمة ضد ذلك , وكانت الزندقة في قريش , أخذوها عن الحيرة .

5- اليهودية : هي دين موسى عليه السلام . نسبة إلى يهوذا أحد أسباط إسرائيل الذي تناسل منه أكثر الملوك .

والذي أدخل اليهودية إلى اليمن تبع الأصغر , ومن اليهود الذين نزلوا المدينة بنو قريظة وبنو النضير , و أشهر من دان باليهودية من قبائل العرب : بنو نمير , بنو كنانة , وبنو الحارث بن كعب , ولعلها سرت إليهم من مجاورة اليهود في تيماء ويثرب وخيبر .

6-النصرانية : هي دين المسيح عيسى بن مريم عليه السلام , نسبة إلى الناصرة أول قرية بث فيها عيسى دعوته , فقال العرب: (ناصري ونصراني)

ودخلت النصرانية بلاد العرب زمن الحواريين , وأشهر من تدين بالنصرانية من العرب قضاعة تلقوها عن الروم , فقد كانوا يكثرون من التردد إلى بلادهم للتجارة, والغساسنة بالشام لمجاورتهم نصارى الروم , وكثير من تنوخ وتغلب وطيئ وحمير .

7-الوثنيون : كانوا أكثر العرب الجاهليين , وهم عبدة الأصنام والأوثان , والصنم يكون غالبا تمثالا , أما الوثن فيكون غالبا حجرا , وقد يسمى الصنم بالوثن .

وكانوا في عبادتهم للأوثان يؤمنون بالله , زاعمين أنها تشفع لهم عند الله : (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى)

ويروي ابن الكلبي في كتاب الأصنام : (أن إسماعيل عليه السلام لما سكن مكة وولد له بها أولاد كثيرة حتى ملئوا مكة ونفوا من كان فيها من العماليق فضاقت عليهم مكة , ووقعت بينهم الحروب والعداوات وأخرج بعضهم بعضا , فتفسحوا في البلاد , وكان الذيسلخ بهم إلى عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم , فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة صبابة بها وحبا , وهم على إرث أبيهم إسماعيل من تعظيم الكعبة والحج والاعتمار , ثم سلخ ذلك بهم إلى أن عبدوا ما استحبوا , ونسوا ما كانوا عليه , واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره , فعبدوا الأوثان , وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم كقوم نوح , وفيهم بقايا على دين أبيهم إسماعيل .

وكان لكل قبيلة صنم أو أكثر وكان منها عند الكعبة كثير , حتى قال الزمخشري إنه كان حولها ثلثمائة وستون صنما .

أثر العامل الديني في الأدب الجاهلي لم يكن واضحا بشكل كبير وإن كان موجودا ,بدليل كتاب "الأصنام " لابن الكلبي الذي جمع فيه من الشعر الجاهلي الأبيات التي سجل فيها الشعراء عبادتهم للأصنام , وربما يعود ذلك إلى أن الصحابة لم يقبلوا حفظ شعر أتى الإسلام منافيا له .

خامسا :العامل الاقتصادي :

لم يكن حظ العرب من الرزق يختلف عن حظوظ الأمم الأخرى من اختلافهم في الموارد والمكاسب , فسكان المدن العامر في اليمن ومكة ويثرب والحيرة غير سكان البادية الموغلين في الصحراء , وسكان المدن أنفسهم يختلفون في مستوياتهم المعيشية , ففيهم التاجر الثري ومنهم العبد الرقيق ومنهم المسكين الضعيف , وآخرون بين هؤلاء وهؤلاء , وفي البادية أغنياء موسرين وفقراء مرملون , وكذلك حياة الناس منذ كانوا حتى اليوم .

الموارد الاقتصادية لأهل الحاضرة :

1- الزراعة :

إن الحياة في الجزيرة العربية موقوفة على الأمطار وما تدره عليهم السحب في مواسم معينه وهي قليلة على أي حال , ولذلك لم يتيسر للبادية أن تقوم فيها زراعة منتظمة بل نشطت الزراعة في المناطق التي تتوفر فيها المياه من العيون والآبار والأمطار , فعرفت الزراعة في الجنوب والشرق ومدن وقرى الحجاز مثل : الطائف ويثرب وخيبر .

فالزراعة حرفة الحضر في المدن والقرى وما حولها . أما أبناء البادية فكانوا ينظرون على الزراعة على أنها عمل أهل الذلة والهوان .

2- الصناعة :

حرفة الصناعة ضيقة النطاق , ومحصورة في الحواضر والمدن , وقليلا في البادية , فالبادية كانت تنظر إلى الصناعة ـ نظرتها إلى الزراعة ـ نظرة زراية واحتقار .

أما الحاضرة فنظرتها إلى الصناعة أهون من ذلك , وإن كان الأشراف يترفعون عن الصناعة .

وكان اليمنيون أعرق في الصناعة وأكثر خبرة ودراية من المضريين , فأهل اليمن صناع مهرة , ومن الصناعات التي أجادها اليمنيون صنع الأسلحة من سيوف ورماح ودروع .

وفي الشمال كانت بعض الصناعات كنسيج الثياب , وعمل السروج والصياغة خاصة في مكة والمدينة .

3- التجارة :

تعد التجارة المهنة المربحة التي عرفها العرب وبرعوا فيها , وهي مهنة الحضر المتعلمين , ولم تكن ظروف البادية ولا طباع أهلها تعين على أن يبرعوا فيها , ولكن بعضهم كان يعمل دليلا يرشد القافلة أن تضل في مجاهل الصحراء , أو خفيرا حاميا يمنعها من النهب والغارة .

وقد نشطت التجارة أول الأمر في اليمن فامتدت تجارتهم بين الهند شرقا و أفريقيا غربا وبلاد الشام والروم شمالا , حتى إذا ما هدمت السيول سد مأرب وساءت حركة السوق واضطربت الأحوال السياسية , كسدت التجارة وانتقل النشاط التجاري إلى أيدي القرشيين في مكة , فكانت قوافلهم تجوب الصحراء شمالا وجنوبا حيث رحلتا الشتاء والصيف , إلى اليمن شتاءا وإلى الشام صيفا , وإلى ذلك تشير الآية الكريمة { لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف}

وكانت هذه القوافل تحمل الطيب والبخور , واللبان , والجلود والثياب العدنية والتوابل الهندية والمعادن والحرير والرقيق والصمغ والعاج والزبيب والقمح والزيوت والخمر والثياب القطنية والكتانية وغيرها .
وقد استطاعت قريش أن تجعل من مكة مركزا تجاريا مهما , وذلك لما كانت تتمتع به من:
- **مكانة دينية مقدسة** , لأنها صاحبة البيت وسادنة الكعبة , وأرضها حرام وحرمها آمن لا يحل فيه قتال ولا غزو .
- **ووضع سياسي مستقر** فقد عقدت محالفات مع القبائل المجاورة , وما كانت تسمح لشعرائها أن يتعرضوا بالهجاء لغيرهم , وقد استطاعت قريش أن تنشر الأمن والسلام في أرضها بحلف عقدته وأسمته (حلف الفضول)
- **موقع جغرافي مميز** حيث تقع في الوسط ما بين الشام واليمن .
وأخيرا كان **للأسواق** أثر كبير في رواج التجارة وتبادل السلع وأهم الأسواق كانت تقام على مقربة من مكة كعكاظ ومجنة وذي المجاز .
كل ذلك هيأ لها الجو الطيب كي تنشط تجارتها فترتاد الصحارى والبوادي في أمن واطمئنان .

الموارد الاقتصادية لأهل البادية :
رأينا فيما مر بأن الحواضر كانت تعنى بالزراعة والصناعة والتجارة , أما البوادي فما كان بقدورها ذلك بل انصرفوا لاكتساب العيش من الإغارة والغزو ومن تتبع منابت الكلأ ورعاية الأنعام وحماية القوافل وإرشادها .
ولكن تعد رعاية الأنعام من أهم مصادر الكسب والحياة بعد الغزو في البادية , وأهم الحيوانات عندهم الإبل فهي عماد الحياة يأكلون من لحومها ويشربون من ألبانها ويكتسبون من أوبارها ويصنعون بيوتهم منها وعليها يحملون أثقالهم ويرحلون .
كذلك عنوا بالخيل لأنها من مظاهر العزة والمنعة , فهي عدتهم عند الغارة ومكسبهم في الغزو والحرب , وكانوا يسلونها على الطريدة , وفي السباق .
وللبدو مكسب آخر من طيب الرزق هو الصيد , فهم يدربون الكلاب خاصة على اصطياد الفريسة ومطاردتها , ويقتنصون الحمر الوحشية والبقر والوعول والماعز الجبلي والظباء .
على أن الصيد كان مكسب الفقراء والضعفاء , أما الفرسان وذوو الشرف فما كانوا يرون الكسب إلا بالغزو والغارة .

تلك أهم الموارد والمكاسب التي كان عرب البادية يتعيشون بها وهم لا شك متفاوتو الرزق منهم من يملك مئات من الإبل و الأنعام ومنهم المُعدم الذي لا يكاد يجد قوت يومه .

سادسا : العامل الثقافي الفكري :

ويتمثل في :

1- اللغة :

كانت اللغة من أعظم مظاهر الحضارة وأجلها شأنا ,لأنها في مفرداتها وتراكيبها سجل النفوس وصورة المجتمع .واللغة العربية الجاهلية بنحوها وصرفها واشتقاقها وشتى فنونها البلاغية والعروضية أوضح دليل على ما بلغه القوم من رقي عقلي ونضج فكري .

2- الأنساب :

علم الأنساب كان شديد الشيوع بين عرب الجاهلية وذلك لإيجاد العصبية التي بها قوام سلطتهم . " ولشدة مباهاتهم بأنسابهم كان كثيرا ما يقع التنافر بسببها , فكان إذا تنافر رجلان في الحسب والنسب تنافرا إلى حكمائهم فيقولان عند المنافرة : أيّنا أعز نفرا ؟ والمنفور هو المغلوب والنّافر هو الغالب . ويقال لمن يقضي في ذلك الحكم . وكان المنفور يعطي النافر ما يقع عليه الشرط , فينحط قدره بين العرب .

3- المعارف الفلكية والطبيعية :

كان العرب في الجاهلية ذوي صلة وثيقة بالكلدانيين والصابئة وغيرهم ممن كان لهم إلمام واسع بعلوم الفلك والتنجيم على الطريقة القديمة . فكان لهم علم بالأنواء , والأنواء هي سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق . وكانوا يعرفون السيارات السبعة على رأي القدماء أي الشمس والقمر والمريخ والمشتري والزهرة وعطارد وزحل . ويعرفون أيضا أبراج الشمس ومنازل القمر .وكانوا يقسمون السنة إلى إثنى عشر شهرا قمريا . وقبل ظهور الإسلام بنحو مئتي سنة تعلموا كبس الشهور , فكانوا يكبسون كل ثلاثة أعوام شهرا واحدا لكي تطابق السنة القمرية دورة الشمس السنوية . وقد اختلفت أسماء الشهور باختلاف الأيام والقبائل إلى أن ثبتت أخيرا التسمية المعروفة إلى اليوم .

4- المدارك الغيبية :

- الكهانة والعرافة :

الكهانة هي الأخبار عن الكواهن في مستقبل الزمان وادّعاء معرفة الأسرار ومطالعة علم الغيب , أما العرافة فهي ادّعاء علم الماضي وكشفه .

وهذه الصناعة كانت معروفة عند عرب الجاهلية, فكان إذا ناب أحدهم أمر يريد معرفة داخليته أو مستقبله منه ذهب إلى الكاهن فأخبره بما يهمه وكانوا يعتقدون أن لكل كاهن صاحب من الجن يحضر إليه فيخبره بما يريده . وللكهان لغة خاصة تمتاز بالسجع المعروف بـ" سجع الكهان "

وكما كان للقبيلة خطيبها وشاعرها , كذلك كان لها كاهنها أو كاهنتها . ولم يكن عمل الكاهن مقتصرا على ماذكرنا من كشف غيوب المستقبل , فهو أيضا ساجع القبيلة وخطيبها أحيانا ومستشارها وطبيبها وحكَمُها .

وقد اشتهر بهذه الصناعة في الجاهلية شق وسطيح , وهما اللذان فسرا لملك اليمن رؤياه , واتفقا بالتفسير على انفراد وإن اختلفا في فقراتهما المسجعة

- القيافة :

القيافة هي الاستدلال من الآثار على الأعيان , وهي في الجاهلية نوعان : قيافة البشر وقيافة الأثر . أما قيافة البشر فهي الاستدلال بخيلان الوجه وشكل الأعضاء على نسب الإنسان , وقد اشتهر فيها قوم من العرب يقال لهم بنو مُدْلج يُعْرض على أحدهم مولود في عشرين نفرا فيلحقه بأحدهم . وأما قيافة الأثر فهي الاستدلال بالأقدام والحوافر والخفاف , وقد اشتهر فيها قوم من العرب أرضهم ذات رمل , إذا هرب منهم هارب أو دخل عليهم سارق تتبعوا آثار قدمه حتى يظفروا به .

- الفراسة والريافة :

الفراسة هي الاستدلال بالنظر إلى وجه الإنسان على ما يضمره في نفسة , وبالاستماع إلى كلامه على أمره , وبالنظر إلى هيئته على صناعته , وإلى تقاطيع سحنته على أخلاقه . والريافة هي الاستدلال بالنظر إلى تربة الأرض وأعشابها على أمكنة الماء في باطن تلك الأرض .

- العيافة :

العيافة زجر الطير أي أن يُرمى بحصاة أو أن يصيح الرجل به , فإن ولاه ميامنه في طيرانه تفاءل به أي تيمّن , وإن ولاه مياسره تشاءم به

وسائل حفظ الشعر الجاهلي

كان الشعر الجاهلي ديوان العرب , أودعوا فيه مفاخرهم , ومآثرهم , وعلومهم , وأخبارهم . فكان لذلك كله موضع عنايتهم الفائقة التي لم تنقطع , ولم تفتر , فكانوا يتناشدون الشعر ويتدارسونه ويقوّم بعضهم بعضا , ولشدة عنايتهم بالشعر اعتنوا بحفظه , وذلك عن طريقتين :

الطريقة الأولى : وعليها الاعتماد , وهي (الحفظ في الصدور والرواية الشفهية)

الطرقة الثانية : وهي كتابة الشعر وتدوينه .

والطريقتان يعضد بعضهما بعضا , فكانت في مواقف عديدة تستخدمان معا , فكانوا يحفظون الشعر في صدورهم وذاكرتهم , وكذلك يكتبونه في صحف ومدونات .

تدوين الشعر الجاهلي

العرب ومعرفة الكتابة:

تعد هذه الفكرة أولى المنطلقات لتحديد ما إذا كان الشعر الجاهلي قد دوّن أم لا. والمؤرخون أمامها كانوا على فريقين: فريقٌ نفى معرفة العرب، في الجاهلية، بالكتابةَ، وفريقٌ أثبتها.

1- القائلون بنفي الكتابة عند عرب الجاهلية:

* **وجهة نظرهم:**

تفاوتت وجهة نظرهم بين نافٍ على الإطلاق، ونافٍ من خلال تقليل حجم معرفة العرب بالكتابة.

* **من القدماء:**

عمرو بن بحر الجاحظ : أنكر معرفة العرب بالكتابة مطلقاً، من خلال قوله: " وكل شيءٍ للعرب إنما هو بديهةٌ وارتجال... وكانوا أميين لا يكتبون"

ابن عبد ربه : يرى أنه لم يكن أحدٌ يكتب بالعربية حين جاء الإسلام سوى بضعة عشر نفراً .

* **من المحدثين:**

مجموعة من المستشرقين الذين يرون أن الكتابة لم تكن معروفة في الجاهليةٍ، وهدفهم تأكيد نفي الكتابة عن الشعر الجاهلي، وبالتالي إضعاف قيمة الشعر المنسوب إلى العصر الجاهلي الذي بين أيدي الدراسين.

2- القائلون بمعرفة عرب الجاهلية بالكتابة :

شوقي ضيف و يوسف خليف وناصر الدين الأسد وأحمد الحوفي وقد تفاوتوا في إقرارهم للكتابة , فمنهم من يرى أنها كانت تقييد ومنهم من يرى أنها تخطت ذلك إلى التدوين .

التقييد: هو في اللغة يفيد التثبيت والربط. وفي الاصطلاح: "الكتابة الضيقة التي لا تشمل الجمع والتبويب والترتيب .

التدوين: وهو الكتابة الواسعة التي تشمل مراحل الجمع والتبويب والترتيب

وفي هذا الجانب، يظهر الفرق بين التقييد والتدوين، على أن كلاً منهما يتصلان بالشعر الجاهلي، من حيث أنّ أحدهما يعني كتابته وتثبيته في الصحف، والآخر معنيٌّ بترتيبه وجمعه على شاكلة ديوانٍ جامع.

وحول هذين المعنيين، دارت الخلافات بين النقاد، فتبنى قسمٌ منهم اشتمال الشعر الجاهلي في عصره، على هذين النوعين من الكتابة، وقدموا لذلك أدلتهم عليها، بينما ذهب آخرون، وهم كثير، إلى منح الشعر الجاهلي نسبةً طفيفةً من التقييد، فلم يشملوه كله به، ونفوا عنه نفياً مطلقاً أن يكون قد تعرض لأدنى وسائل الترتيب أو الجمع أو التبويب، وهي مراحل متطورة من الكتابة.

2- الرواية

معنى الرواية :

لغة : (الرواية) من الإبل التي يُحمل عليها الماء, وكذلك يُسمى الرجل الذي يحمل الماء (راوية).

ثم صار من المجاز أن يطلق على سادات القبيلة الذين يحملون الديات والأعباء (روايا) , وكذلك صار من المجاز أن يطلق على من يحمل الشعر أو الحديث (راوية) .

و راوي الشعر في الجاهلية : هو من يحمل شعر الشاعر ,وينقله ,ويذيعه .

الرواية من العصر الجاهلي حتى عصر التدوين :

كانت الرواية وسيلة مهمة لحفظ الشعر في العصر الجاهلي فالكبير والصغير يحفظ الشعر ويرويه لأن الشعر يرفع قبيلة ويخفض أخرى ويحفظ مآثر وأخبار لذلك كانت الرواية هي الوسيلة الكبرى في حفظ الشعر الجاهلي في هذا العصر

و لما جاء الإسلام لم تنقطع رواية الشعر الجاهلي , رغم قيام المسلمين بأعباء نشر الدين , بل اتصلت الرواية في زمن الرسول والصحابة والخلفاء الراشدين ولم يشغلهم شاغل في مجالسهم ومحافلهم عن إنشاد الشعر , حتى إنهم كانوا يتناشدونه في مسجد رسول الله , واستمر الشأن كذلك في القرن الأول كله , وقد ذكرت المصادر مبلغ عناية عمر بن الخطاب بالشعر وروايته , وكثرة استشهاده به , وكذلك عبدالله بن عباس الذي كان يستخدم الشعر الجاهلي في تفسير القرآن , وغيرهم من الصحابة الذين اتهموا بالشعر وبإنشاده .

وفي عهد بني أمية نرى الحرص ذاته على الشعر وروايته , وتدريسه للصبيان , فهاهو عبدالملك بن مروان يوصي مؤدب ولده : (روِّهم الشعر يمجدوا وينجدوا)

وبذلك فقد استمرت العناية بالشعر الجاهلي رواية وتدوينا منذ الجاهلية حتى تسلمه العلماء الرواة من رجال القرن الثاني الهجري , ولم تكن ثمة فجوة تفصل هؤلاء الرواة العلماء عن العصر الجاهلي لأنهم تلقفوه عمن تقدمهم برواية متصلة , وسلسلة محكمة , يأخذها الخلف عن السلف , حتى جاء ق2 هـ الذي تمت فيه الرواية العلمية المنظمة والضبط والتحري والتدقيق

طبقات الرواة :

الطبقة الأولى : الشعراء الرواة :

حين قسم النقاد الشعراء إلى طبقات جعلوا الطبقة الأولى المقدمة هي : طبقة فحول الشعراء , وعرفوهم أنهم : الشعراء الرواة , وهم طائفتان :

1- شعراء يروون شعر شاعر بعينه , يحفظون شعره ويتتلمذون على يده حتى يكتمل نضجهم الفني , فيحتذون فيما ينظمون نهجه الشعري , وبذلك يكونون مدرسة شعرية لها خصائص فنية بارزة , مثل :
أوس بن حجر راويته زهير بن أبي سلمى راويته ولده كعب و الحطيئة راويته هُدبة بن خشرم راويته جميل بن معمر راويته كثّير عزة
2- شعراء لم يختصوا بشاعر معين , وإنما يروون لشعراء عديدين , وأمثلتهم كثيرة في شعراء ق1هـ مثل: الطِّرماح بن حكيم , جرير , الفرزدق , ذو الرمة .

الطبقة الثانية : رواة القبيلة :

العديد من أفراد القبيلة يعتنون بشعر شعراء قبيلتهم فيحفظونه ويروونه , مثل قبيلة تغلب التي عني صغيرها وكبيرها بحفظ معلقة عمرو بن كلثوم التي افتخر بقبيلته فيها .

الطبقة الثالثة : رواة الشاعر:

كان لبعض الشعراء ـ خاصة الفحول ـ راوٍ أو رواة يلازمونه في حلة وترحاله يروون شعره .

الطبقة الرابعة : رواة علماء :

هذه الطبقة اتخذت من الشعر موضوعا علميا تعكف عليه بحثا ودراسة ورواية وتمحيصا ونقدا , وقد كان الرواة العلماء في البصرة والكوفة يحترفون جمع الشعر الجاهلي من مصادره المختلفة , وكان هؤلاء يتجهون حينا إلى البادية المصدر الأصلي للشعر القديم , يجمعونه من أفواه الأعراب أو يستقبلون بعض الأعراب في المدينة ـ البصرة أو الكوفة ـ ومعنى هذا أنه كانت هناك رحلتان عكسيتان أحدهما إلى البادية من جانب العلماء يطلبون ما لدى الأعراب الرواة من أشعار القدماء , والأخرى إلى البصرة والكوفة من جانب الرواة الأعراب ليعرضوا ما لديهم من الأشعار على العلماء . وبدا الأمر أشبه ما يكون بالتجارة الرابحة التي كان لها بعض الخطر والكثير من الخير على الشعر القديم عامة , أما الخير فيتمثل فيما جمع ودون من أشعار ودواوين , وأما الخطر فيتمثل في أن بعض هؤلاء الأعراب كانوا يفتعلون الأشعار لينالوا ثمنها من العلماء الذين كانوا يتلهفون عليهم وعلى ما يروونه .

مصادر الشعر الجاهلي

1- الدواوين المفردة:

ونعني بها دواوين الشعراء الجاهليين التي جمعها العلماء في عصر التدوين في البصرة والكوفة،مثل دواوين:امرئ القيس،والنابغة،وزهير،وطرفة،وعنترة،وعلقمة بن عبدة،التي رواها الأصمعي وشرحها الشنتمري المعروف بالأعلم , تحت عنوان"دواوين الشعراء الستة الجاهلين"ومن مثل ديوان الأعشى الذي رواة ثعلب،وديوان الخرنق بنت بدر الذي رواة أبو عمرو بن العلا , وديوان طرفه برواة ابن السكيت .

2- دواوين القبائل:

ويجمع كل ديوان منها مجموعة كبيرة من شعر شعراء القبيلة،إلى جانب بعض أخبارها وأيامها،وقد جمع أبو عمرو الشيباني منها نَيِّفًا وثمانين ديوانا،كما عني السكري بجمع طائفة اخرى.

ولم يكن العلماء يعمدون دائما إلى جمع شعر القبيلة في حيز واحد،بل كثيرا ماعمدوا إلى جمع شعر عشيرة من العشائر أو فرع من فروع القبيلة، فقد ذكر الآمدي في (المؤتلف المختلف) ستين ديوانا من دواوين القبائل،من بينها على سبيل المثال- تسعة دواوين،كل ديوان منها لبطن من بطون قبيلة بكر بن وائل.

وقد فُقدت دواوين القبائل التي خلفها العلماء القدامى ولم يصل إلينا إلا قطع من ديوان هذيل .

3- مجموعة المختارات :

- المعلقات :

هي قصائد طوال جياد لشعراء جاهليين تسمى حينا المذهبات أو القصائد السبع الطوال . وقد اختلفوا في سبب تسميتها بالمعلقات , فذكر ابن عبدربه في كتابه العقد الفريد أنها سميت كذلك لأنها كتبت بماء الذهب على القباطي وعلقت على أستار الكعبة , وذكر آخرون أن سبب التسمية يعود على شهرتها الكبيرة التي جعلتها تعلق بالأذهان ورفض بعض الباحثين هذا الرأي ورأوا أنها سميت بذلك لنفاستها أخذا من كلمة العِلْق بمعنى النفيس .وللمعلقات عدة روايات تختلف في **عددها** في كل رواية فهناك من قال بأنها سبع معلقات وهناك من قال تسع معلقات وفريق آخر قال بأنها عشر معلقات .

شعراء المعلقات :

1- امرؤ القيس :

قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ وَمَنزِلِ
بِسِقطِ اللِوى بَينَ الدَخولِ فَحَومَلِ

2- زهير بن أبي سلمى :

أَمِن أُمِّ أَوفى دِمنَةٌ لَم تَكَلَّمِ

بِحَومانَةِ الدُرّاجِ فَالمُتَثَلَّمِ

3- طرفة بن العبد :

لِخَولَةَ أَطلالٌ بِبُرقَةِ ثَهمَدِ

تَلوحُ كَباقي الوَشمِ في ظاهِرِ اليَدِ

4- لبيد بن ربيعة :

عَفَتِ الدِيارُ مَحَلُّها فَمُقامُها

بِمَنىً تَأَبَّدَ غَولُها فَرِجامُها

5- عمرو بن كلثوم:

أَلا هُبّي بِصَحنِكِ فَاصبَحينا

وَلا تُبقي خُمورَ الأَندَرينا

6- عنترة بن شداد :

هَل غادَرَ الشُعَراءُ مِن مُتَرَدَّمِ

أَم هَل عَرَفتَ الدارَ بَعدَ تَوَهُّمِ

7- الحارث بن حلزة اليشكري:

آذَنَتنا بِبَينِها أَسماءُ

رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ مِنهُ الثَواءُ

8- الأعشى :

وَدِّع هُرَيرَةَ إِنَّ الرَكبَ مُرتَحِلُ

وَهَل تُطيقُ وَداعاً أَيُّها الرَجُلُ

9- النابغة الذبياني :

يا دارَ مَيَّةَ بِالعَلياءِ فَالسَنَدِ

أَقوَت وَطالَ عَلَيها سالِفُ الأَبَدِ

10- عبيد بن الأبرص :

أَقفَرَ مِن أَهلِهِ مَلحوبُ

فَالقُطَبِيّاتُ فَالذَنوبُ

- **المفضليات**

سميت بذلك نسبة إلى المفضل الضبي العالم والراوي الكوفي الثقة(ت نحو178هـ) وهي مئة وست وعشرون قصيدة ومقطوعة،كما وردت في شرح ابن الأنباري، أضيفت إليها أربع قصائد وجدت في النسخ المخطوطة التي وصلت إلينا،فيكون مجموع قصائدها مئة وثلاثون قصيدة،فالمفضليات – كما ذكرنا مجموعة من القصائد المختارة من الشعر القديم،وهي لسبعة وستين شاعرا،منهم نحو سبعة وأربعين جاهليا.

- **الأصمعيات**

سميت بذلك نسبة إلى جامعها الأصمعي(عبدالملك بن قُرَيْب بن عبدالملك122-216هـ الراوي والعالم البصري الثقة)

وتبلغ قصائد الأصمعيات اثنتين وتسعين قصيدة ومقطوعة موزعة على 71شاعر، منهم أكثر من أربعين شاعرا جاهليا.

الأصمعيات تشترك مع المفضليات في رواية تسع عشرة قصيدة.

- **جمهرة أشعار العرب**

وتنسب هذه المجموعة إلى أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي.

وتشمل جمهرة أشعار العرب على مقدمة وثمانية أبواب،وقد عرض المؤلف في مقدمته للغرض من تصنيف الكتاب.

ثم تتوالى الأبواب بعد ذلك حيث يخصص كل باب منها لسبع قصائد لسبعة شعراء، ويحمل كل باب منها اسما من الأسماء المختارة وهي:

1-المعلقات:وقد اختار القول بأنها سبع معلقات.

2-المجمهرات:(جمع مُجَمْهَر،أي مجموع ومحكم الخلق والصناعة)

3-المنتقيات:(من قولهم انتقى الشيء،أي اختاره،أو من المنقَّى أي المخلص من الشوائب.

4-المذهبات:(لنفاستها أو من قولهم:كالطراز المذهب)

5-المراثي:وتتناول غرض الرثاء.

6-المشوبات:(أي قصائد الشعراء المخضرمين،وكان حياتهم قد شابها الكفر في أول عهدها قبل مجيء الإسلام ،من قولهم شابَ الشيءغيره،أي : خالطه)

7-الملحمات:(من قولهم لحم الشيء أي لأمه،ولحم الأمر:أحكمه وأصلحه)

تضم الجمهرة إذن تسعا وأربعين قصيدة موزعة على سبعة أقسام،في كل قسم منها سبع قصائد طوال.هذا ولا تبلغ رواية الجمهرة مبلغ المفضليات والأصمعيات من الثقة- إذا استثنينا رواية المعلقات لشهرتها التي منعت الرواة من العبث بها.

- **ديوان الحماسة لأبي تمام:**

والمجموعة الخامسة من كتب الاختيارات:ديوان الحماسة لأبي تمام(ت231هـ)

الذي ضمنه مجموعة من القصائد والمقطعات لشعراء جاهليين وإسلاميين وعباسيين، وإن كانت معظم اختياراته مُقَطَّعات.

قسم أبو تمام ما اختاره من أشعار عشرة أبواب،يستقل كل باب منها بأشعار تتناول غرض من الأغراض،فباب لشعر الحماسة-وهو أول الأبواب وأكبرها وبه سميت المجموعة كلها-وباب للمراثي،وباب للأدب،وباب للنسيب،وباب للهجاء،وباب للأضياف والمديح،وباب للصفات،وباب للسير والنعاس،وباب للمدح،وباب لمذمة النساء.هذا ولأبي تمام مجموعات أخرى من الاختيارات هي"كتاب الوَحشِيّات"وتسمى بالحماسة الصغرى.

- **حماسات أخرى:**

وعلى غرار حماسة أبي تمام صنف آخرون حماسات أخر من مثل:حماسة البحتري وهي مقطوعات قصيرة موزعة على 174بابا.وحماسة الشجري،وأغلب مختاراتها من الشعر الجاهلي،وحماسة الخالدَيْن أو الأشباه والنظائر للأخوين سعيد الخالدي وحمد الخالدي ومن مثل الحماسة البصرية والحماسة المغربية،وهما تاليتان للحماسات السابقة.

4- مصادر أخرى للشعر الجاهلي:

ثمة ضروب شتى من كتب التراث أوردت كثيرا من مقطوعات الشعر الجاهلي-وقصائده في بعض الأحيان-من مثل كتاب النقائض الذي شرح فيه أبو عبيدة نقائض جرير والفرزدق؛إذ ضمن شرحه كثيرا من أشعار الجاهليين وأخبارهم وأيامهم.

ومن مثل الكتب النقدية:كطبقات فُحُول الشعراء لابن سلام الجمحي والشعر والشعراء لابن قتيبة ،والعمدة لابن رشيق والموشّح للمَرْزُباني .

ومن مثل كتب اللغة،كخزانة الأدب للبغدادي الذي جمع فيه زُهاء ألف بيت من الشعر القديم وترجم لبعض الشعراء الجاهليين من إشارات إلى بعض أشعارهم من حيث الانتحال والصحة.ومن مثل كتاب الأمالي لأبي علي القالي ،والكامل في اللغة والأدب للمُبَرِّد ،ومجالس ثعلب لأحمد بن يحيى ثعلب .

هذا إلى جانب سائر كتب الأدب العام:كالأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، والعقد الفريد لابن عبد ربه ،والبيان والتبيين،والحيوان للجاحظ.وكذلك كتب الجغرافية القديمة من مثل معجم ما استُعْجَم للبكري .

ومعنى هذا أم مصادر الشعر الجاهلي يمكن أن تنقسم قسمين رئيسيين:مصادر شعرية(دواوين أو مختارات)،ومصادر إخبارية,ونعني بها المصادر التي لم تقتصر على رواية الشعر،وإنما ورد الشعر في سياق الحديث أو الشرح.

ولهذه المصادر كلها أهمية كبيرة,ذلك أن كثيرا من الشعراء الجاهليين لم تصل إلينا دواوينهم,من ثم فإن كتب الاختيارات وسائر المصادر الإخبارية هي مرجعنا الذي لا غنى عنها،إذا حاولنا جمع شعر شاعر من هؤلاء الشعراء.

* قضية الانتحال*

قضية الانتحال هي قضية المقطوعات أو القصائد التي تنسب إلى غير قائلها . أو هي باختصار شديد قضية الخطأ في رواية بعض جوانب النص أو في نسبته برمته إلى غير قائله .

وثمة مصطلحات ثلاثة في هذا المجال : (النحل والانتحال والوضع)

النحل : أن ينسب الرجل شعر شاعر إلى شاعر آخر .

الانتحال : ادعاء شعر الغير .

الوضع : أن ينظم الرجل شعرا ثم ينسبه إلى غيره لأسباب ودواع .

وقد شاع استعمال كلمة الانتحال , لتكون علما على هذه القضية برمتها , مع أن الانتحال أقل شيوعا من النحل والوضع , ولذا يرى بعض الباحثين استعمال مصطلح النحل بدلا من الانتحال .

ومهما تغير المصطلح أو العنوان , فإن هذه القضية تناقش مدى صحة ما دون من شعر ينسب إلى الجاهليين .

دائرة قضية الانتحال:

1- الانتحال عند القدماء .
2- الانتحال عند الباحثين المحدثين .

أولا : الانتحال عند القدماء :

واضح مما قدمنا أن الشعر الجاهلي دخل فيه انتحال كثير , وقد أشار إلى ذلك القدماء مرارا وتكرارا, وحاولوا جاهدين أن ينفوا عنه الزيف وما وضعه الوُضَّاع متخذين إلى ذلك مقاييس كثيرة , وبلغ من حرصهم في هذا الباب أن أهمل ثقاتهم كل ما رُوي عن المتهمين أمثال حماد وخلف , وكان الأصمعي خاصة لهم بالمرصاد, كما كان المفضل الضبي من قبله , وتتابع الرواة الأثبات بعدهما يحققون ويمحصون في التراث . ومن أهمهم في هذا الجانب ابن سلام , فقد دون في كتابه (طبقات فحول الشعراء)كثيرا من ملاحظات أهل العلم والدراية في رواية الشعر القديم من أساتذة المدرسة البصرية التي ينتسب إليها , وأضاف إلى ذلك كثيرا من ملاحظاته الشخصية.

أسباب وضع الشعر عند ابن سلام :

1- تزيد القبائل في شعر شعرائها ,وقولهم الشعر على ألسنة الشعراء ليذيع لهم مفاخر ووقائع كسائر القبائل . قال ابن سلام :

لما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم , وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار , فقالوا على ألسن شعرائهم , ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الأشعار التي قيلت)

2- الرواة الوضاعون , ويقدم لنا ابن سلام طائفتين من الرواة كانتا ترويان منتحلا كثيرا وتنسبه إلى الجاهليين :

- طائفة كانت تحسن نظم الشعر وصوغه وتضيف ما تنظمه وتصوغه إلى الجاهليين ومثل لها بحماد وهناك أشباها له مثل جَنّاد وخلف الأحمر .
- وطائفة لم تكن تحسن النظم ولا الاحتذاء على أمثلة الشعر الجاهلي, ولكنها كانت تحمل كل غثاء منه وكل زيف , وهم رواة الأخبار والسير والقصص , من مثل ابن إسحق راوي السيرة النبوية إذ كانت تُصْنَع له الأشعار ويُدخلها في سيرته دون تحرز أو تحفظ , منطقا بالشعر العربي من لم ينطقوه من قوم عاد وثمود والأقوام البائدة .

ورفض ابن سلام والأصمعي وأضرابهما رواية الطائفتين جميعا , فلم يقبلوا شيئا مما يرويه أشباه حماد إلا أن يأتيهم من مصادر وثيقة , وكذلك لم يقبلوا شيئا مما يرويه ابن إسحق لا عن الأمم البائدة فحسب , بل عن عرب الجاهلية أنفسهم , إلا أن يجدوه عند رواة أثبات .

ثانيا : الانتحال عند الباحثين المحدثين :

أ- المستشرقون .

ب-العرب .

أ- عند المستشرقين :

أثار عدد كبير من المستشرقين قضية الانتحال في العصر الحديث وقد بدأ النظر فيها نولدكه وتلاه آلوَرد وكذلك موير وباسيه وبروكلمان . ولكن مرجليوث هو أكبر من أثاروا هذه القضية في كتاباته إذ كتب فيها مقالا مفصلا نشره في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية بعدد يوليو سنة 1925م جعل عنوانه (أصول الشعر العربي) وقد أورد مجموعة من الأسباب التي يعزي إليها عدم صحة الشعر الجاهلي .

أسباب الشك في صحة الشعر الجاهلي عند مرجليوث والرد عليها :

السبب :

1- أن القرآن الكريم وقف موقف العداء من الشعر, وهذا الأمر يفضي إلى نفي الرواية الشفوية التي حفظ بها الشعر الجاهلي , حيث لن يحفظ المسلمون شعرا عاداه القرآن .

الرد :

- مرجليوث لم يفهم موقف القرآن الصحيح من الشعر والشعراء , فلو كان القرآن معاديا للشعر لامتنع الرسول عن سماعه ولم يشجع الشعراء على قوله كما فعل مع كعب بن زهير عندما أهداه البردة , وكذلك الصحابة لكانوا توقفوا عن حفظ الشعر وعن دراسته فابن عباس كان يرى أن الشعر ديوان العرب .
- أن سلسلة الرواية لم تنقطع حتى عصر التدوين .

2- عندما نفى مرجليوث وسيلة الرواية الشفوية في حفظ الشعر الجاهلي بقي أمامه وسيلة الكتابة التي نفاها أيضا , وغرضه من نفي الرواية الشفوية والكتابة التأكيد على أن الشعر الجاهلي نُظم في مرحلة زمنية تالية للقرآن الكريم , ومن هنا يقف بإزاء الرواة المتهمين أمثال حماد وجناد وخلف الأحمر وما كان يطعن به بعض الرواة في بعض , ليزعم أن الوضع في هذا الشعر كان مستمرا .

الرد:

- أنه كما أن هناك رواة وضاعون فإن هناك رواة ثقات حافظوا على الشعر الجاهلي
- لقد تطرق القدماء إلى قضية الرواة الوضاعين ولقد رأينا موقفهم الصارم منهم .

3- أن الشعر الجاهلي لا يمثل الحياة الدينية للمجتمع الجاهلي , فهو لا يمثل الجاهليين الوثنيين ولا من تنصروا منهم , فأصحابه مسلمون لا يعرفون التثليث المسيحي ولا الآلهة المتعددة , إنما يعرفون التوحيد والقصص القرآني وما في الإسلام من مثل الحساب ويوم القيامة وبعض صفات الله .

الرد :

- نتفق مع مرجليوث في إخراج الشعر المصبوغ بصبغة إسلامية بحته ونعني ذلك الشعر الذي يشمل على معاني إسلامية لم تكن معروفه من قبل عند الموحدون , أما المعاني الإسلامية العامة التي وجدت لدى الحنفاء فلا يوجد شك فيها , لن الموحدون عُرفوا في العصر الجاهلي .
- يوجد في كتاب الأصنام لابن الكلبي من الشعر الجاهلي ما ينقض زعمه .

4- أن الشعر الجاهلي لا يمثل اللغة التي كانت موجودة في المجتمع الجاهلي ,فهي لغة ذات وحدة ظاهره وهي نفس لغة القرآن الكريم التي أشاعها العرب , ولو أن الشعر الجاهلي صحيح لمثل لنا لهجات القبائل المتعددة في الجاهلية , ولمثل لنا الاختلافات بين لغة القبائل الشمالية العدنانية واللغة الحميرية في الجنوب .

الرد :

- الشعر الجاهلي كان يحمل لغة القرآن الكريم ولم يكن يمثل لهجات القبائل بشكل واضح لأن الشعراء كانوا يقولون الشعر بلهجة قريش التي نزل بها القرآن الكريم , والتي سادت في المجتمع الجاهلي بأسباب دينية واقتصادية وسياسية , واجتماعية .

الدينية لوجود الكعبة المشرفة في مكة التي كان يحج العرب إليها ,و**الاقتصادية** أن قريش هم أصحاب التجارة فلهم رحلتي الشتاء والصيف , و**السياسية** أن قريش هم قطان الحرم وأهله وهم سدنة الكعبة ولم يكن يتعرض لهم أحد بالضرر أو الشر في رحلاتهم الطويلة لمكانتهم الرفيعة , **والاجتماعية** أنها كانت أكثر المجتمعات العربية استقرارا فلم تكن تعتمد في معاشها على النجعة والارتحال , وكانت أهم مركز لتجمع القبائل من أنحاء الجزيرة وذلك في سوق عكاظ الذي جرت عادة الشعراء والخطباء فيه على عرض مهاراتهم اللغوية .

- أما أن الشعر الجاهلي لم يمثل لنا الاختلافات بين لغة القبائل الشمالية واللغة الجنوبية فهذا أمر طبيعي لأنها ليست لغته وقديما قال أبو عمرو ابن العلاء (ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا)

5- وآخر أدلة مرجليوث أن النقوش المكتشفة في الممالك الجاهلية المتحضرة وخاصة اليمنية لا تدل على وجود أي نشاط شعري فيها , فكيف أتيح لبدو غير متحضرين أن ينظموا هذا الشعر بينما لم ينظمه من تحضروا من أهل هذه الممالك .

الرد:

- دحض بروينلش هذا الدليل بأن نظم الشعر لا يرتبط بالحضارة ولا الثقافة ولا الظروف الاجتماعية , وهناك فطريون وبدائيون لهم شعر كثير مثل الإسكيمو.

ب- عند العرب :

تعرض مصطفى صادق الرافعي لهذه القضية في كتابه (تاريخ آداب العرب) ولكنه لا يتجاوز ماقاله القدماء في هذه القضية .

ثم خلف مصطفى الرافعي الدكتور طه حسين الذي درس هذه القضية في كتابه (في الشعر الجاهلي) عام 1926 م الذي أحدث به رجة عنيفة أثارت الكثير من الباحثين الذين تصدوا للرد عليه , ولم يلبث أن ألف مصنفه (في الأدب الجاهلي) الذي أقصى منه بعض الجوانب وتوسع في البعض الآخر .

أسباب الشك في الشعر الجاهلي عند طه حسين والرد عليها :
السبب:
1- أن الشعر الجاهلي لا يصور حياة الجاهليين الدينية والعقلية والسياسية والاقتصادية .
- لا يمثل الحياة الدينية (فهي إسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم أكثر مما تمثل حياة الجاهليين)

الرد :

ما قلنا سابقا في الرد على مرجليوث نقوله في الرد على طه حسين في زعمهما أن الشعر الجاهلي لا يمثل الحياة الدينية في المجتمع الجاهلي بل يمثل حياة المسلمين .

- لا يمثل الحياة العقلية فهي غير واضحة في الشعر المنسوب إليهم .

الرد :

نجد أن حياتهم العقلية ماثلة في شعرهم وفي لغتهم , فقد كانت اللغة أعظم مظاهر الحضارة , لأنها في مفرداتها وتراكيبها سجل النفوس وصورة المجتمع , واللغة العربية الجاهلية بنحوها وصرفها واشتقاقها وشتى فنونها البلاغية والعروضية أوضح دليل على ما بلغه القوم من رقي عقلي ونضج فكري .

- أن حياتهم السياسية لا تتضح في أشعارهم مع أنهم كانوا على اتصال بمن حولهم من الأمم, مما يوضح القرآن الكريم في سورة الروم , إذ يعرض علينا العرب شيعتين : شيعة تنتصر للروم وشيعة تنتصر للفرس.

الرد:

هذا الواقع لا يصدق على العرب جميعا , إنما يصدق على قريش وقوافلها التجارية التي كانت تنزل في بلاد الدولتين .
ومع ذلك فقد كان شعراء نجد والحجاز يتصلون بالغساسنة من أتباع الروم ,والمناذرة من أتباع الفرس ويمدحونهم ويهجونهم . ولما نشبت الحروب بين قبيلة بكر والفرس قبيل الإسلام هددهم شعراء هذه القبيلة وتوعدوهم طويلا .

- أن حياتهم الاقتصادية لا تتضح في شعرهم , بينما يمثل لنا الذكر الحكيم العرب طائفتين : طائفة الأغنياء المستأثرين بالثروة وطائفة الفقراء المعدمين , وليس في الشعر ما يصور ذلك .
وكذلك الشعر يصور لنا العرب جميعا على أنهم أجواد كرام على حين يلح القرآن الكريم في ذم البخل والبخلاء .

الرد:

- إن في شعر الصعاليك أكبر رد على هذا الشك فهو يصور لنا النضال الذي كان بين الأغنياء والفقراء , أما الشعراء فكما أكثروا من مدح الكرم فإنهم أكثروا في هجائهم من ذم البخل والشح .

2- أن الشعر الجاهلي لا يمثل اختلاف اللهجات بين القبائل الجاهلية , وكذلك لا يمثل الاختلافات بين لغة القبائل الشمالية العدنانية واللغة الحميرية في الجنوب .

الرد :

ما قلنا سابقا في الرد على مرجليوث في هذا الشك نقوله لطه حسين .

بعد أن أوردنا أسباب الشك في الشعر الجاهلي عند مرجليوث وطه حسين اتضح لنا التقائهما في سببين

- أن الشعر الجاهلي لا يمثل الحياة الدينية .
- وأنه ذو وحدة لغوية ظاهره فهو لا يمثل الاختلاف بين لهجات القبائل الشمالية ولا يمثل الاختلاف بين اللغة الشمالية واللغة الجنوبية .
- وهذا الالتقاء يؤكد ما أثير حول كتاب طه حسين (في الشعر الجاهلي)الذي نشر عام 1926م بأنه قد سرق أفكار مرجليوث التي نشرها في المجلة الآسيوية قبله بعام واحد 1925م .

الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي

تعريف الصعلكة:

■لغة:

تعني الفقر ، الفقير الذي لا مال له ولا اعتماد ، وقد تصعلك الرجل أي افتقر فالصعلكة لغة مأخوذة من قولهم: "تصعلكت الإبل" إذا خرجت أوبارها وانجردت. ومن هذا الأصل اللغوي، أصبح الصعلوك هو الفقير الذي تجرد من المال، وانسلخ من جلده الآدمي ودخل في جلد الوحوش الضارية.

■إصطلاحاً:

الصعاليك في عرف التاريخ الأدبي هم جماعة من مخالفين العرب الخارجين عن طاعة رؤساء قبائلهم .. وقد تطورت دلالة هذا المصطلح بحيث أصبح يدل على طائفة من الشعراء ممن كانوا يمتهنون الغزو والسلب والنهب .

والصعلكة ظاهرة اجتماعية برزت على هامش الحياة الجاهلية كرد فعل لبعض العادات و الممارسات ، و استمرت الصعلكة ردحاً من الزمن

ونظرًا لسرعتهم الفائقة في العدو وشراستهم في الهجوم والغارة، أُطلق عليهم ذؤبان العرب أو الذؤبان تشبيهًا لهم بالذئاب.

وكذلك أطلق عليهم اسم العدائين لسرعتهم في العدو , وكذلك أغربة العرب أو الغربان تشبيها لهم بالغراب لسواد بشرتهم .

و ينقسمون الصعاليك إلى ثلاث طوائف وهم:

◄الطائفة الاولى (أغربة العرب)

كان البعض من العرب يأنفون من إلحاق أبنائهم (أبناء الحبشيات السود) من الإماء بنسبهم وينبذونهم ، فكانوا يتمردون على ذويهم و يخرجون إلى الصحراء ، مثل / السُّليك بن السُّلكة ، وتأبط شراً ، و الشنفري .

◄الطائفة الثانية (الخلعاء)

تتكون من تلك الزمرة الخارجة على أعراف القبيلة و المتمردة على مواضعاتها و المنتهكة لمواثيقها ، وقد تخلت عنهم قبائلهم لما ارتكبوه من جرائم وحماقات ، وهؤلاء كانت تخلعهم قبائلهم ، مثل / حاجز الأزدي ، وقيس بن الحدادية .

◄الطائفة الثالثة (المحترفون)

فئة احترفت الصعلكة احترافاً وحولتها إلى ما يفوق الفروسية من خلال الأعمال الإيجابية التي كانوا يقومون ، وهذه الطائفة كانت تضم أفراداً و قبائل مثل / عروة بن الورد وقبيلتي "فهم" و "هذيل" اللتين كانتا تنزلان بالقرب من الطائف ومكة..

تفسيرات وجود الصعاليك في العصر الجاهلي :

ومما لاشك فيه أن هناك عوامل جغرافية وسياسية واجتماعية واقتصادية أدت إلى بروز ظاهرة الصعلكة في الصحراء العربية إبَّان العصر الجاهلي .**فالعامل البيئي** الذي أدى إلى بروز هذه الظاهرة يتمثل في قسوة الصحراء وشُحِّها بالغذاء إلى درجة الجوع الذي يهدد الإنسان بالموت. وإذا جاع الإنسان إلى هذه الدرجة، فليس من المستغرب أن يتصعلك ويثور ويقتل .

والعامل السياسي يتمثل في وحدة القبيلة القائمة على العصبية ورابطة الدم. فللفرد على القبيلة أن تحميه وتهرع لنجدته حين يتعرض لاعتداء. ولها عليه في المقابل أن يصون شرفها ويلتزم بقوانينها وقيمها وأن لا يجر عليها جرائم منكرة. وفشل الفرد في الوفاء بهذه الالتزامات قد يؤدي إلى خلعه والتبرؤ منه، ومن هنا نجد طائفة من الصعاليك تُسمى الخلعاء والشذاذ .

ومن الناحية الاجتماعية، نجد أن التركيبة القبلية تتشكل من ثلاث طبقات هي طبقة الأحرار الصرحاء من أبناء العمومة، وطبقة المستجيرين الذين دخلوا في القبيلة من قبائل أخرى، ثم طبقة العبيد من أبناء الإماء الحبشيات. والحقيقة أن مجموعة كبيرة من الصعاليك هم من أبناء هذه الطبقة المستلبة التي ثار الأقوياء من أفرادها لكرامتهم الشخصية مثل الشنفرى وتأبط شرًا وعمرو بن برَّاقة والسليك بن السلكة وعامر بن الأخنس وغيرهم. وكان يُطلق عليهم أغربة العرب أو الغِرْبان تشبيهًا لهم بالغراب لسواد بشرتهم .

أما العامل الاقتصادي، فيعزى إلى أنَّ حياة القبيلة في العصر الجاهلي كانت تقوم على النظام الإقطاعي الذي يستأثر فيه السادة بالثروة، في حين كان يعيش معظم أفراد الطبقات الأخرى مستخدَمين أو شبه مستخدمين. فظهر من بين الأحرار أنفسهم نفر رفضوا أن يستغل الإنسان أخاه الإنسان، وخرجوا على قبائلهم باختيارهم لينتصروا للضعفاء والمقهورين من الأقوياء المستغلين. ومن أشهر هؤلاء عُروة بن الورد الملقب بأبي الصعاليك أو عروة الصعاليك.

موضوعات شعر الصعاليك :

1- أحاديث المغامرات:

من الطبيعي مادامت حياة صعاليك العرب قد اتخذت شعارها"الغزو والإغارة للسلب والنهب"-أن يكون أكبر مايعنى به شعراؤهم أحاديث مغامراتهم ، والأسلوب الذي انتهجوه فيها لتحقيق غاياتهم.وهم يتحدثون عن هذه المغامرات حديث المؤمن بقيمتها في حياته،المعجب بها،الفخور ببطولته فيها،أو بمقدرته على النجاة من أخطارها وقد ضاقت في وجهه سبل النجاة.

من ذلك قول الشنفري:

فثاروا إلينا في السَّواد فهجْهجوا

وَصَوَّتَ فينا بالصباح المثوِّبُ

فشنَّ عليهم هزَّةَ السيف ثــابتٌ

وصَمَّم فيهم بالحسامِ المسَّيبُ

وَظـلْتُ بفتيـان معـي أتـقيـهـمُ

بهـن قليـلا سـاعـةً ثم خيَّـبوا

وقد خرمنهم راجلان وفارسٌ

كميتٌ صرعناه وخَوُمٌ مسلَّبُ

يشـن إليـه كـل ريـعٍ وقلـعـة

ثمانيةً ، والقومُ رَجْلٌ و مقْنبُ

هجهجوا/صاحوا. المثوب/الداعي المكرر االدعاء. الوخوم/الثقيل.

الريع/المرتفع من الأرض. الرَجْل/الجماعة على أرجلهم.

المقنب/الجماعة على الخيل.

فالشنفري قد وقف للدفاع هو وجماعة من فتيان الصعاليك،وثبتوا في موقفهم، حتى انجلت المعركة عن انتصار الصعاليك بعد أن قتلوا جماعة من أعدائهم وسلبوهم، أما سائرهم فقد أنتابهم فزع شديد،حتى خيل إليهم أن كل مرتفع من الأرض يصب عليهم كل الصعاليك الثمانية.

2- شعر المرَاقِب :

تحدث الشعراء الصعاليك عن تربصهم بأعدائهم وترصدهم لضحاياهم وارتقابهم الفرصة الملائمة لمهاجمتهم،فوق المرتفعات العاليه التي يشرفون منها على الطريق بحيث يرون الناس ولا يرونهم التي كانوا يسمونها"المرَاقِب".

من ذلك قول تأبط شراً:ـ

ومرقبة يا أم عمرو طِميرَّة * مذَبذَبةٍ فوق المراقب عَيْطلِ

نهضت إليها من جثوم كأنها * عجوزٌ عليها هِدْمِلٌ ذات خيعل

الطِمِرَّة/المرتفعة. العيطل/الطويلة. الهدمل/الثوب الخَلِق

الخيعل/ثوب من ثياب النساء كالقميص .أو هو قميص لا كمين له.

فالمرقبة عند تأبط شراً ذات صورة طريفة،إنها مرقبه تعلو سائر المراقب، وهي معقدة ذات تجاعيد كأنها عجوز شمطاء عليها ثياب بالية،ولكنه مع ذلك- ما إن ينتصف الليل حتى ينهض إليها ليبدأ في تنفيذ خططه.

3- التوعد والتهديد:

تحدث الشعراء الصعاليك عن التوعد والتهديد لأعدائهم وقد كان بعض الشعراء منهم يوجهون هذا التهديد لقبائل بعينها فيتوعدونهم في أشعارهم من ذلك قول تابط شراً:

أرى قدميَّ وَقْعــهما خفيــف

كتحليل الظَّليم حذا رِئالهْ

أرى بــهمــا عــذابــاً كـل يــوم

لخثعَمَ أو بُجيلَة أو ثمــالــهْ

وشرًّا كان صُبَّ على هذيل

إذا علِقتْ حبالهُم حبــالــه

التحليل/العَدْو الظَّليم : ذكر النعام الرئال/جمع رأل وهو ولد النعام حذا/حاذى

فتأبط شراً لا يقنع بغير غزو خثعم بجيلة وثمالة وهذيل، وهو يرد الفضل في هذا كله إلى قدميه اللتين أودع الله فيهما عذاباً وشرًّا يصبهما عليهم.

4- وصف الأسلحة:

من الطبيعي أن يتحدث الشعراء الصعاليك عن أسلحتهم،فهي القوة الثالثة التي يعتمدون عليها في مغامراتهم إلى جانب قوة قلوبهم وقوة أرجلهم تلك القوى الثلاث التي تقوم عليها حياة الصعلوك.

والأسلحة التي يصفها الشعراء الصعاليك هي تلك التي كان يعرفها العرب في العصر الجاهلي كالسيف والرمح والقوس والسهام والدروع.

يقول الشنفري في بيان أثر سيفه في أعدائه وفي براعته في استخدامه:

وأبيض من ماء الحديد مهندٌ مِجذٌّ لأطراف السواعد مِقطفُ

مِجذٌّ/ قاطع لأطراف السواعد , مقطف نفس المعنى تقريباً

5- الحديث عن الرفاق:

نجد الشعراء الصعاليك في أشعارهم يتحدثون عن رفاقهم الذين يرافقونهم في مغامراتهم ودور كل واحد منهم وما أكثر ما نجد في شعرهم ألفاظ الرَّجْل، والسُّرْبَة،والمِقْنَب،والفتيان،والأصحاب،والصحب،والقوم، وأمثال هذه الألفاظ التي تدل على الجماعة , يقول الشنفري في هذا الموضوع:ـ

سَراحينُ فتيانٌ كأن وجوههم

مصابيحُ أو لون من الماء مذْهَبُ.

6- أحاديث الفرار:

يتحدثون أيضا عن فرارهم وهربهم،دون أن يجدوا في هذه الأحاديث غضاضة أو أمراً يدعو إلى الخجل والمداراة،وفيم الخجل مادام الفرار أمرا طبيعيا من قوم عدائين،فهم يفخرون بسرعة العدو ويحاولوا إظهاره , والفرار سبيلهم إلى ذلك.

يقول أبو خراش عن فراره مدافعاً:

فأن تزْعُمى أني جبنتُ فإنني

أفِر وأَرْمى مرة كلَّ ذلك

أقاتلُ حتى لا أرى لي مُقاتلا

وأنجو إذا ماخفتُ بعض المهالك

فهو لا يفر لأنه جبان، فهو إلى جانب فراره مقاتل شجاع ولكن يرى أحياناً أن قتاله لا يجديه شيئًا إلا أن يورده موارد الهلاك فيلجأ إلى الفرار .

7- سرعة العدو:

يلح الشعراء الصعاليك على الحديث عن سرعة عدوهم،ويبدو أن مرد هذا إلى أمرين:أولهما شعورهم بأنها ميزة تفردوا بها من بين إخوانهم في البشرية، ثانيهما إيمانهم بأنها من الأسباب الأساسية في نجاتهم من كثير من المآزق الحرجة.

ومن هنا كان حديثهم عنها حديث المعجب بنفسه تارة والمعجب بها تارة أخرى.

من ذلك قول العلم:

فلا وأبيك لا ينجو نجائي

غداة لقيتهم بعض الرجال.

فهو يرى أنه قادر على شيء يعجز عنه بعض الناس,بسبب سرعته في العدو التي تكون سببا في نجاته.

8- أحاديث التشرد:

تحدث الشعراء الصعاليك عن تشردهم في أرجاء الصحراء الموحشة ،ووديانها المخيفة وافتخروا باهتدائهم ,واتخذوا من هذا مادة للفخر بأنفسهم أو لمدح رفاقهم الصعاليك.من ذلك افتخار تأبط شراً بقوله:

يبيتُ بمغنى الوحش حتى ألفته

ويصبح لا يحمي لها الدهر مرتعا

رأين فتى لاصيدَ وحش يهمه

فلو صافحتْ إنساً لصافحته معا

فهو يفتخر في حديثه إلى إمرأة خطبها فامتنعت عليه , بأنه لطول تشرده ألفته وحش الصحراء و اطمأنت إليه، حتى لتوشك أن تصافحه لو أن وحشا تصافح إنسا.

الظواهر الفنية في شعر الصعاليك

1- شعر مقطوعات:

حين نظر الدارسون في شعر الصعاليك من ناحية بنائه الخارجي لفت انظارهم انه شعر مقطوعات ولا نعني بهذا انعدام القصيدة فيه،وإنما نعني ذيوع المقطوعة أكثر من ذيوع القصيدة , باستثناء بعض القصائد مثل تائية الشنفري .

والسبب في وفرت شعر المقطوعات عندهم هو طبيعة حياتهم نفسها تلك الحياة القلقة المشغولة بالكفاح في سبيل العيش التي لا تكاد تفرغ للفن من حيث هو فن يفرغ صاحبه لتطويله وتجويده،وإعادة النظر فيه،كما كان يفعل الشعراء القبليون.

2- الوحدة الموضوعية:

تظهرت الوحدة الموضوعية في مقطوعات الشعراء الصعاليك وفي أكثر قصائدهم، بحيث يستطيع أن يضع لكل مقطوعة عنواناً خاصاً بها،دالا على موضوعها.وهي ظاهرة لم تعرفها قصائد الشعر الجاهلي القبلي في مجموعه،تلك القصائد التي تبدأ عادة بمقدمة طللية ثم تظل تنتقل من موضوع إلى موضوع حتى تصل إلى نهايتها.

3- التخلص من المقدمات الطللية:

ظاهرة التخلص من المقدمات الطللية أمر طبيعي مادام الشعراء الصعاليك يحرصون على الوحدة الموضوعية في شعرهم.إذ أن المقدمات الطللية تخل بطبيعة الحال بهذه الوحدة الموضوعية.

ونجد أن الشعراء الصعاليك قد اتخذوا لهم مذهباً آخر استعاضوا به عن هذه المقدمات،وهو مذهب جعلوا محوره"حواء الخالدة" أيضا،ولكنها ليست المرأة المحبوبه التي عرفناها عند الشعراء القبليين،ولكنها المرأة (الزوجة) المحبة الحريصة على فارسها التي تدعوه دائما إلى المحافظة على حياته،إن لم يكن من أجل نفسه فمن أجلها هي.

4- التحلل من الشخصية القبلية:

من الطبيعي ألا تظهر شخصية القبلية عند شاعر فقد إحساسه بالعصبية القبلية مادامت الصلة بين الشعراء الصعاليك وبين قبائلهم قد انقطعت اجتماعيا فمن الطبيعي أن تنقطع فنيا،ونعني بانقطاعها فنياً تحلل الشاعر الصعلوك من ذلك "العقد الفني" الذي نراه بين الشاعر القبلي وقبيلته،فلا يكون الشاعر الصعلوك "لسان عشيرته"لأن ما بينه وبين عشيرته قد انقطع،وإنما يصبح شعره صورة صادق كل الصدق عن حياته هو،يسجل فيه كل ما يدور فيها،ويصبح ضمير الفرد"أنا" أداة التعبير فيه بدل من ضمير الجماعة"نحن"الذي هو أداة التعبير في الشعر القبلي،وتصبح المادة الفنية لشعره مشتقة من شخصيته هو لا من شخصية قبيلته.

5- القصصية:

شعر الصعاليك شعر قصصي يسجل فيه الشاعر الصعلوك كل ما يدور في حياته الحافلة بالحوادث المثيرة التي تصلح مادة طيبة للفن القصصي فحوادث مغامراتهم الجريئة التي كانوا يقومون بها فرادى وجماعات وما كان يدور فيها من صراع دامٍ مرير وأخبار فرارهم وعدوهم وتشردهم كل هذا وغيره من مظاهر حياتهم مادة صالحة للفن القصصي.

من الشعراء الصعاليك :

1- عروة بن الوَرْد العبسي :

كان أبوه من شجعان قبيلته وأشرافهم،ومن ثَمَّ كان له دور بارز في حرب داحس والغبراء.أما أمه فكانت من نَهْد من قضاعة،وهي عشيرة وضعيه لم تعرف بشرف ولا خطر،فآذى ذلك نفسه،إذ أحس في أعماقه من قِبَلها بعار لا يُمْحى،يقول:

وما بيَ من عارٍ إخالُ علمتُه سوى أَن أَخوالي ــإذا نُسبوا ــ نَهْدُ

فهي عاره،الذي حَلَّت البلية عليه منه،والذي دفعه دفعاً إلى الثورة على الأغنياء، وهي ثورة كانت مهذبة،إذ لم يتحول إلى سافك دماء ولا إلى متشرد يرود مجاهل الصحراء،فقبيلته لم تخلعه،بل ظل ينزل فيها مرموق الجانب لسيرة كانت تروع معاصريه ومن جاءوا بعدهم،إذ اتخذ من صعلكته باباً من أبواب المروءة والتعاون الاجتماعي بينه وبين فقراء قبيلته وضعفائها،ومن أجل ذلك لُقِّب عروة الصعاليك لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم وضاقت بهم الدنيا. وفي الأغاني "كان عروة بن الورد،إذا أصابت الناس سنة(أزمة جدب)شديدة وتركوا في دارهم المريض والكبير والضعيف،يجمع أشباه هؤلاء من دون الناس من عشيرته في الشدة،ثم يَحْفر لهم الأسراب،ويَكْنُفُ عليهم الكُنُفَ(الحظائر)ويَكْسبهم.ومن قَوِيَ منهم ــ إما مريضٌ يبرأ من مرضه أو ضعيف تثوب قوته ــ خرج به معه فأغار،وجعل لأصحابه الباقين في ذلك نصيباً.حتى إذا أخصب الناس وألْبَنُوا وذهبت السنة ألحق كلَّ إنسان بأهله،وقسم له نصيبه من غنيمة إن كانوا غنموها،فربما أتى الإنسان منهم أهله وقد أستغنى،فلذلك سمي عروة الصعاليك.وفي خبر آخر أن عبساً كانت إذا أجدبت أتى ناس منها ممن أصابهم جوع شديد وبؤس فجلسوا أمام بيت عروة،حتى إذا أبصروا به صرخوا،وقالوا أيا أبا الصعاليك أغثنا،فكان يرق لهم ويخرج بهم فيصيب معاشهم.

وعروة بذلك كله يعبر عن نفس كبيرة،فهو لا يغزو للغزو والنهب والسلب كالشَّنْفَري وتأبط شرا،وإنما يغزو ليعين الهُلاَّك والفقراء والمرضى والمستضعفين من قبيلته,والطريف انه لم يكن يُغير على كريم يبذل ماله للناس,بل كان يتخير لغارته من عُرفوا بالشح والبخل ومن لا يمدون يد العون للمحتاج في قبائلهم،فلا يرعون ضعفاً ولا قرابة ولا حقًّا من حقوق أقوامهم.وبذلك كله تصبح الصعلكة عنده ضرباً من ضروب النبل الخلقي،وكأنها أصبحت صِنْواً للفروسية،بل لعلها تتقدمها في هذه الناحية من التضامن الاجتماعي بين الصعلوك والمعوزين في قبيلته.وبلغ عروة من ذلك أنه كان لا يؤثر نفسه بشيء على من

يرعاهم من صعاليكه,فلهم مثل حظه غزوا معه أو قعد بهم المرض أو الضعف.وهو يضرب بذلك مثلا رفيعاً في الرحمة والشفقة والبذل والإيثار.

* شعر الأيام (شعر الفرسان)*

وهو الشعر الذي قيل في الحروب والمعارك التي دارت بين القبائل العربية.وقد سميت حروبهم ووقائعهم أياما لأنهم يتقاتلون نهارا فإذا جاء الليل حجزهم وفرقهم , فإذا حل اليوم الثاني عادوا للقتال , وأيام العرب كثيرة ذكر الميداني في كتابه (مجمع الأمثال) مائة و اثنين وثلاثين يوما ضبط أسماءها وبين أحداثها والقبائل التي اشتركت فيها .

وقد كثرت أسباب الحروب بين القبائل العربية ومن أهم الأسباب:ـ

1- العصبية القبلية:

فقد كانت حياتهم حياة حربية فكل فرد له قبيلة تحميه وهو في المقابل ينصرها ويحميها ويقاتل باسمها وكان شعارهم في كل ذلك أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً.

2- الثأر:

والثأر هو نتيجة طبيعيه للحروب المستمرة والغارات القائمة بين القبائل.

وقد كان اخذ الدية في العصر الجاهلي ذل وهوان وعار يحمله الشخص طول عمره.

وكان البعض يبالغ في ثأره فلا يكتفي بقتل شخص واحد بل يقتلون به مئة نفس أحيانا خاصة إذا كان المقتول شريفاً في قبيلته.

أما إذا كان وضيعاً فيطلبون به رأس شريف من القبيلة الأخرى.

3- الصراع على موارد الحياة:ـ

حيث أن طبيعة حياتهم جعلتهم يتتبعون مساقط الغيث أينما كان فمتى حل موسمه رعوا أنعامهم وشربوا حتى إذا عرفوا مكانا آخر فيه موارد أفضل سعوا إليها تاركين المكان الأول سواء أكان ذلك المرعى في أرضهم أم في أرض غيرهم ومن ذلك قولهم:

إذا سقط السماء بأرض قوم

رعيناه وإن كانوا غضابا.

4- الصراع على مناطق النفود(الحدود):ـ

فلكل قبيلة حدود أو حمى يختلف موقعها عن موقع القبائل الأخرى،ولاكن بعض القبائل تطمع في توسيع مناطق نفودها فتحارب القبائل المجاورة وتفرض سيطرتها عليها.

5- التمرد على السلطة الظالمة:ـ

فقد وجدت السلطة الظالمة التي تفرض سيطرتها على أفراد القبيلة وتذلهم وتهينهم، وهذا يؤدي إلى خروج القبيلة على الزعيم وقيام الحرب ومن ذلك(عبيد العصا).

وهم قوم من بني أسد رفضوا دفع الجباية للملك حجر والد امرؤ القيس وقتلوا رسله فقدم إليهم وقتل عددا منهم بعصاه فسميوا"عبيد العصا" ثم ثاروا عليه بعد ذلك واستطاعوا أن يقتلوه.

موضوعات(أغراض) شعر الأيام (الفرسان) :

تعد الأيام مادة غنية للشعراء الذين جعلوا الشعر صدى واضحا لها حكى وقائعها ووصف هولها وبكى قتلاها , وتوعد الخصوم , وطلب بالثأر , وافتخر بالنصر وعيّر بالهزيمة . وهذا الشعر عبرعن تلك الأيام في موضوعات وأغراض مختلفة من أهمها :

1- الفخر والحماسة :
يفخر الشاعر في شعر الأيام بإقدامه وشجاعته وبسالته وثباته في المعارك , كما يفخر بقومه وحسن بلائهم في المعارك .
أما الحماسة : فهي من تشجيع المقاتلين ودفعهم للإقدام في الحرب ويمثل جزءا كبيرا من الشعر الجاهلي .

2- المدح :
وهو ليس بمدح شخصي بل مدح قبلي ولم يكن بهدف التكسب ونيل الحظوة من الممدوح بل نابع من الإعجاب الصادق به وعادة ما يكون الممدوح من فرسان القبيلة .

3- الهجاء :

والهجاء كذلك يكون قبليا وليس شخصيا ويوجه نحو الأعداء واصفا إياهم بالجبن والبخل وإضاعة حق الجار .
ويتميز الهجاء في الجاهلية بالخلو من السباب والشتم والسخرية .

4- الرثاء :
هو بكاء القتلى الذين قتلوا في المعارك , ونجد في هذا الرثاء حث على الصبر والتجلد والدعوة للثأر ممن يرثي القتلى .
أما إن كان الرثاء من المرأة فإنا نجد فيه كثير من ألفاظ التوجع والبكاء والنواح وتعداد محاسن الميت كما فعلت الخنساء لمقتل أخيها صخرا.

5- وصف المعارك :
من موضوعات شعر الأيام وصف المعارك بعدتها الحربية من سيوف ودروع ورماح ومن وصف الخيول أثناء القتال , ووصف المقاتلين أثناء التحام الصفوف واشتباك الرماح وذكر عددهم ومظهرهم أثناء القتال والأصوات التي تدور في المعركة كذلك .
6- المنصفات :
وهو الشعر الذي ينصف فيه قائله الأعداء فيصف ما يتميزون به من قوة وشجاعة وعدة وعدد ويصف بسالتهم في القتال .

الخصائص الفنية لشعر الفرسان :
1- الغالب فيه أنه شعر مقطوعات قصار لا تطويل فيه .
2- التخلص من المطلع الطللي والدخول في الموضوع مباشرة ,وذلك للموقف الثائر المضطرب الذي تقال فيه.
3- وضوح الألفاظ وسهولتها .
4- ظاهرة التكرار التي تبرز كثيرا في شعرهم لشدة الانفعال وللإحساس الثائر الذي يعمد الشاعر بسببه إلى تكرار لفظة بعينها أو شطر بيت عدة مرات ,ومن ذلك قول المهلهل في حرب البسوس يخاطب بكر :
يا لبكر انشروا لي كليبا يا لبكر أين أين الفرار ؟
5- كثرة استخدام القسم لتأكيد المعنى وترسيخه وكذلك استخدام أسلوب الاستفهام .
6- كثرة ألفاظ التبليغ في أشعارهم مثل : بلغ وأبلغ وذلك للإعداد لسرد أحداث المعركة .

نموذج لشعر الفرسان من معلقة عمرو بن كلثوم

قائل النص :

هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن تغلب بن وائل الشاعر الجاهلي المشهور, وأمة ليلى بنت المهلهل أخي كليب , استلم قيادة قومه التغلبيين وإمارتهم في سن مبكرة لا تكاد تتجاوز الخامسة عشر من العمر .

مناسبة النص :

ذكرت كتب التاريخ أن خلافاً جديداً وقع بين بكر وتغلب بعد الخلاف الذي ألهب من قبل حرب البسوس,ومفاده أن أناساً من بني تغلب أتوا قبيلة بكر بن وائل يستقونها, فطردتهم بكر للحقد الذي كان بينهم بسبب تلك الحرب الآنفة الذكر فمات منهم سبعون رجلاً عطشاً, ثم أن بني تغلب اجتمعوا لحرب بني بكر بن وائل, واستعدت لهم بكر حتى إذا التقوا كرهوا الحرب,وخافوا أن تعود الحرب كما كانت, فدعا بعضهم بعض إلى الصلح, فتحاكموا إلى الملك عمرو بن هند, فقال عمرو: ما كنت لأحكم بينكما حتى تأتوني بسبعين رجلاً من أشراف بكر بن وائل, فأجعلهم في وثاق عندي, فإن كان الحق لبني تغلب دفعتهم إليهم, وان لم يكن لهم حق خليت سبيلهم, ففعلوا ذلك وتواعدوا ليوم بعينه, يجتمعون فيه فجاءت تغلب في ذلك اليوم يقودها عمرو بن كلثوم وجاءت بكر بن وائل يقودها النعمان بن هرم,وحدث جدال بين الفريقين في حضرة عمرو بن هند الذي أظهر آنذاك ميلاً للتغلبيين وآثرهم على البكريين الذين بدورهم استبدلوا رئيسهم بالحارث بن حلزة, ولكن عمرو بن كلثوم لم يحسن توظيف ذلك الميل لصالح قومه, فراح ينشد أبياتاً من معلقته في حضرة الملك مليئة بالتيه والتعالي على الناس و الحاضرين , وهذا ما احدث ردة فعل في نفس عمرو بن هند الذي نراه بعد أن يستمع إلى أبيات الحارث الهادئة الرزينة يحكم لصالح البكريين, فتستشيط تغلب غضباً, ويستشيط شاعرها حماساً ومغالاة .

يقول في بعض أبياتها :

{أَبَا هِنْدٍ فَلا تَعْجَلْ عَلَيْنا	وَأَنْظِرْنا نُخَبِّرْكَ الْيَقِينا
بأَنّا نُورِدُ الرَّايَاتِ بِيضاً	وَنُصْدِرُهُنَّ حُمْراً قَدْ رَوِينا
وَأَيَّامٍ لَنَا عزٍّ طِوَالٍ	عَصَيْنا الَملْكَ فيهَا أَنْ نَدِينا
وَسَيِّدِ مَعْشَر قَدْ تَوَّجُوهُ	بِتَاجِ الْملْكِ يَحْمِي الْمَحَجرِينا
تَرَكْنا الَخيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ	مُقَلّدَةً أَعِنّتَها صُفُونا
وَأَنْزَلْنا الْبُيُوتَ بِذِي طُلُوحٍ	إِلَى الشَّامَاتِ تَنْفِي الْموعِدِينا
وَقَدْ هَرَّتْ كلابُ الَحيِّ مِنّا	وَشَذَّبْنا قَتَادَةَ مَنَ يَلِينا
مَتَى نَنْقُلْ إِلى قَوْمٍ رَحَانا	يَكُونُوا فِي الِّلقَاءِ لَها طَحِينا
يَكُونُ ثِفَالُهَا شَرْقِيَّ نَجْدٍ	وَلَهْوَتُها قَضاعَةَ أَجْمَعينا } حفظ
نَزَلْتُمْ مَنْزِلَ الأَضْيَافِ مِنّا	فَأَعْجَلْنا الْقِرَى أَنْ تَشْتِمُونا
قَرَيْنَاكُمْ فَعَجَّلْنا قِرَاكُمْ	قُبَيْلَ الصُّبْحِ مِرْدَاةً طَحُونا
نَعُمُّ أَنَاسَنا وَنَعِفُّ عَنْهُمْ	وَنَحْمِلُ عَنْهُمُ مَا حَمَّلُونا
نُطَاعِنُ مَا تَرَاخَى النّاسُ عَنّا	وَنَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ إِذَا غُشِينا
بِسُمْرٍ مِنْ قَنا الَخطِّيِّ لُدْنٍ	ذَوَابِلَ أَوْ بِبِيضٍ يَخْتَلِينا
كأَنَّ جَمَاجِمَ الأَبطَالِ فِيها	وَسُوقٌ بِالأَمَاعِزِ يَرْتَمِينا
نَشُقُّ بِهَا رُؤُوسَ الْقَوْمِ شَقا	وَنَخْتَلِبُ الرِّقَابَ فَتَخْتَلِينا

شرح الأبيات :

1- أَبَا هِنْدٍ فَلاَ تَعْجَلْ عَلَيْنَا
وَأَنْظِرْنَا نُخَبِّرْكَ اليَقِيْنَا

ينادي الشاعر عمرو بن هند بالهمزة وهي لنداء القريب فيقول أبا هند لا تعجل علينا وانتظرنا نخبرك باليقين من أمرنا وشرفنا.

2 - بِأَنَّا نُوْرِدُ الرَّايَاتِ بِيْضاً
وَنُصْدِرُهُنَّ حُمْراً قَدْ رُوِيْنَا

الراية : العلم ، والجمع الرايات

يقول الشاعر: نخبرك باليقين من أمرنا بأنا نورد أعلامنا الحروب بيضاً ونرجعها منها حمراً قد روين من دماء الأبطال فالشاعر يفسر قوله اليقين في البيت السابق وهو يمثل الرايات بالإبل التي ترد الماء ثم ترجع وقد رويت من الماء

والشاعر استخدم هذه الصورة من حياته ومشاهداته ووظفها بأسلوب جميل فنحن حينما ننظر إلى الزمن الذي تقضيه الإبل بين ورودها للماء وبين صدورها عنه فإنه زمن قصير وهذا يدل على أن الشاعر يفخر بشجاعة قبيلته وأنهم لا يستغرقون وقتاً طويلاً في حروبهم, وانتصاراتهم تكون دائماً سريعة, وهذا يدل على أنهم معتادون على الحروب وأنهم أهل قدرة على القتال.

وعندما ننظر إلى تعطش الإبل إلى الماء نلمح وجه شبه آخر وهو تعطش قوم الشاعر إلى الدماء وهذا كله يدل على شجاعتهم وإقدامهم .

وبدأ الشاعر بحرف التوكيد"أن" ليؤكد على هذه المعاني والشاعر حينما بدأ بحرف التوكيد أشعرنا بأنه واثق مما سيقوله والثقة تدخل الطمأنينة إلى نفس السامع.

****

3- وَأَيَّـامٍ لَنَـا غُـرٍّ طِـوَالٍ
عَصَيْنَـا المَلِكَ فِيهَا أَنْ نَدِيْنَـا

الأيام : الوقائع , الغر بمعنى المشاهير كالخيل الغر لاشتهارها فيما بين الخيل , أن ندين ، أي كراهية أن ندين ونخضع

عطف الشاعر"أيام" على"بأنا" السابقة ليكمل ما بدأه فهو يقول: نخبرك بوقائع لنا مشاهير كالغر من الخيل عصينا الملك فيها كراهية أن نطيعه ونتذلل له.

وقوله"طوال" تدل على أنها أيام طوال على أعدائهم لما تحمله من حروب وشدائد. أو تدل على أنها أيام غر طوال لعلوهم على الملك.

****

4- وَسَيِّدِ مَعْشَـرٍ قَدْ تَوَّجُـوْهُ
بِتَاجِ المُلْكِ يَحْمِي المُحْجَرِيْنَـا

المحجرينا : اللاجئين

"وسيد معشرً" يجوز أن يكون معطوفاً, أو نقول: ورب سيد قوم متوج بتاج الملك حام للملجئين ,وخصه بهذه الصفة حتى يبين قوته فاللاجئين يقدمون إليه ليحميهم بقوته الضاربة .

****

5- تَرَكْـنَ الخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْـهِ
مُقَلَّـدَةً أَعِنَّتَهَـا صُفُـوْنَـا

عاكفة : قائمة , مقلدة أعنتها : أي ترك عنان الفرس على عنقها ، الصفون : جمع صافن ، وقد صفن الفرس يصفن صفونا إذا قام على ثلاثة قوائم وثنى سنبكه الرابع

قتلناه وتركنا الخيل عاكفة عليه وفي قوله - تركنا الخيل - احتمالين:أحدهما: أن يريد خيله و خيل أصحابه . والآخر : أن يريد خيل معشر الملك فإذا كان يريد خيله وخيل أصحابه فالمعنى أنّا قتلناه وأحطنا به لأخذ السلب , قد نزل الرجال عن الخيل , وقلدوها الأعنة يأخذون السلب و إذا أراد معشر الملك المقتول فالمعنى أن أصحابه لم يغنوا عنه شيئا , وهم حواليه لا يردون عنه , يبين الشاعر حال الخيل التي تركوها عاكفة عليه فيقول : صفونا والصفون هي الفرس التي قد رفعت إحدى قوائمها من التعب لذلك أرى أن الاحتمال الثاني هو الأقرب لأن من المبالغة في الفخر أن يصف خيله بالقوة ولا يصفها بالتعب .

****

6- وَأَنْزَلْنَا البُيُوْتَ بِذِي طُلُوْحٍ
إِلَى الشَامَاتِ تنْفِي المُوْعِدِيْنَـا

ذي طلوح والشامات : أسماء لأماكن , الموعدينا : الذين توعدونا

يقول الشاعر أنهم تركوا تلك الخيل وساروا حتى أنزلوا بيوتهم بمكان يعرف بذي طلوح إلى الشام وهذه البيوت تنفي من هذا المكان الأعداء الذين كانوا يتوعدونهم.

والشاعر جعل منازلهم طاردة لأعدائهم الذين كانوا يتوعدونهم وهذا دليل على قوة هذه القبيلة بحيث أن وضعهم لمنازلهم أرعب الأعداء الذين كانوا يتوعدونهم واستخدامه للفعل المضارع في"تنفي"يشعرك بالاستمرار.

****

7- وَقَدْ هَرَّتْ كِلاَبُ الحَيِّ مِنَّـا

وَشَـذَّبْنَا قَتَـادَةَ مَنْ يَلِيْنَـا

القتاد : شجر ذو شوك ، والواحدة منها قتادة ، التشذيب : نفي الشوك والأغصان الزائدة والليف عن الشجر . يلينا : أي يقرب منا يقول الشاعر وقد لبسنا الأسلحة حتى أنكرتنا الكلاب وهرت لإنكارها إيانا وقد كسرنا شوكة من يقرب منا من أعدائنا.

فالشاعر قد أستعار تشذيب القتادة لكسر شوكة الأعداء.

****

8- مَتَى نَنْقُلْ إِلَى قَوْمٍ رَحَانَـا
يَكُوْنُوا فِي اللِّقَاءِ لَهَا طَحِيْنَـا
يقول الشاعر أننا متى حاربنا قوما في ديارهم قتلناهم فكانت حربنا مثل الرحى التي تطحن الحبوب.

فاستعار الشاعر للحرب الرحى ولقتلاهم الطحين.

****

9 - يَكُـوْنُ ثِفالُهَا شَرْقِيَّ نَجْـدٍ
وَلُهْـوَتُهَا قُضَـاعَةَ أَجْمَعِيْنَـا
الثفال:خرقة أو جلد أو كساء يجعل تحت الرحى ليسقط عليه الدقيق ، اللهوة : القبضة من الحب تلقى في فم الرحى شبه الشاعر حربهم بالرحى في البيت السابق ثم ذكر الشاعر في هذا البيت مدى استيعاب هذه الرحى فقال أنها تستوعب هذا الموضع العظيم(شرقي نجد)وتهلك هذا الحي الكبير(قضاعة)فيكونون بمنزلة هذه القبضة التي تلقى في الرحى.
فاستعار لمكان المعركة اسم الثفال وللقتلى اسم اللهوة ليشاكل الرحى والطحين الذي ورد في البيت السابق,وهذان البيتان يمثلان إغارة الشاعر وقبيلته على أعدائهم

****

10- نَزَلْتُـمْ مَنْزِلَ الأَضْيَافِ مِنَّـا
فَأَعْجَلْنَا القِرَى أَنْ تَشْتِمُوْنَـا

يقول الشاعر أنكم تعرضتم لمعاداتنا كما يتعرض الضيف للقرى فقتلناكم عجالاً كما يحمد تعجيل قرى الضيف ثم قال مستهزئاً أن تشتمونا أي عجلنا قراكم كراهية أن تشتمونا لتأخيرنا قراكم.
وفي قوله"فأعجلنا"سرعة تدل على تأهبهم لملاقات الأعداء الذين يفاجئونهم. وفيها دلالة على أنهم لا يأخذون وقتاً طويلاً في قتالهم للأعداء.

****

11- قَرَيْنَاكُـمْ فَعَجَّلْنَـا قِرَاكُـم
قبَيْلَ الصُّبْحِ مِرْدَاةً طَحُوْنَـا

المرداة : الصخرة التي يكسر بها الصخور
يقول الشاعر:- أننا قريناكم فعجلنا قراكم قبيل الصبح بحرب أهلكتكم.
والشاعر أستعار الصخرة التي يكسر بها الصخور للحرب دليلا على شجاعتهم فهم أقوياء مثل الصخرة التي لا تواجه تراباً وإنما تواجه صخوراً مثلها فتحطمها فيكون في ذلك دلاله على قوتهم العظيمة.
هذان البيتان يمثلان إغارة الأعداء على قبيلة الشاعر وكيف يواجهون هذه الإغار

****

12- نَعُـمُّ أُنَاسَنَـا وَنَعِفُّ عَنْهُـمْ
وَنَحْمِـلُ عَنْهُـمُ مَا حَمَّلُوْنَـا

يقول أننا نشمل أناسنا بالعطاء فلا ننسى منهم أحدا,وفي هذا دليل على أن كرمهم عام لا يؤثر فيه أي شيء من الأحقاد ويدل على التكافل في هذه القبيلة, ثم هم يعفون عن أمولاهم ولا يتوقفون عند ذلك بل يحملون أثقال حقوقهم ومؤنتهم.

والشاعر في هذا البيت يتحدث عن كرمهم مع أهلهم وأناسهم وربما ذكر الشاعر هذا البيت ليبين أن قراهم للأعداء بالقتل لا يقلل من كرمهم فهم كرماء مع من يوالونهم.

****

13- نُطَـاعِنُ مَا تَرَاخَى النَّاسُ عَنَّـا
وَنَضْرِبُ بِالسّيُوْفِ إِذَا غُشِيْنَـا

التراخي : البعد ، الغشيان : الإتيان

ثم يذكر الشاعر تقسيم الأبيات السابقة فالبيتان(9-8) يمثلان الشطر الأول والبيتان (11-10) يمثلان الشطر الثاني من هذا البيت.

يقول الشاعر نطاعن الأبطال ما تباعدوا عنا فنحن نذهب إليهم ونغير عليهم وأما إذا أتونا أعدائنا فإننا نضرب بالسيوف أعدائنا ولا نتوانا في ذلك.

****

14- بِسُمْـرٍ مِنْ قَنَا الخَطِّـيِّ لُـدْنٍ
ذَوَابِـلَ أَوْ بِبِيْـضٍ يَخْتَلِيْنَـا

اللدن : اللين , يختلينا : يقطعنا

"بسمر" متلعقة بقوله"نطاعن" فهو يقول: نطاعن برماح سمر لينه من رماح الرجل الخطي أو بسيوف بيض يقطعن ما يضرب بها,وأقام الشاعر"سمر" مكان الموصوف"الرماح" وهذا لم يكن عبثاً بل ليبين أن جميع رماحهم من النوع الجيد الذي يقضي على الأعداء لأن السمر من الرماح أجودها.

****

15- كَأَنَّ جَمَـاجِمَ الأَبْطَالِ فِيْهَـا
وُسُـوْقٌ بِالأَمَاعِـزِ يَرْتَمِيْنَـا

الأبطال : جمع بطل وهو الشجاع ، الوسوق : جمع وسق وهو حمل بعير ، الأماعز : جمع الأمعز وهو المكان الذي تكثر حجارته

في البيت السابق ذكر الشاعر أسلحتهم وفي هذا البيت يبين فعل السيوف بالأعداء فيقول : أنها تسقط جماجم الشجعان واتبع الشاعر التشبيه في هذا المعنى فقد شبه سقوط جماجم الشجعان منهم بأحمال الإبل التي تسقط من الأماكن الكثيرة الحجارة والشاعر حينما ذكر الأبطال فإنه يزيد من قوة وشجاعة قبيلته لأن القضاء على الأبطال لا يكون إلا من قبل أبطال فاقوهم في الشجاعة والقوة.

وكلمة " يرتمينا " تبين لنا سرعة السقوط وهذا يدل على براعة قومه في القتال فهم بارعون في قتل الأعداء حتى أنه يقطعون رقابهم ببراعة وسرعة لترتمي هذه الجماجم دون الأجساد على الأرض .

****

16- نَشُـقُّ بِهَا رُؤُوْسَ القَوْمِ شَقًّـا
وَنَخْتَلِـبُ الرِّقَـابَ فَتَخْتَلِيْنَـا

الاختلاب : قطع الشيء بالمخلب وهو المنجل الذي لا أسنان له ، الاختلاء : قطع الخلا وهو رطب الحشيش
ثم يواصل الحديث عن ما تفعله سيوفهم بالأعداء فيقول أننا نشق بها رؤوس الأعداء شقا ونقطع بها رقابهم فيقطعن فسيوفهم تعمل في أعدائهم طولا وعرضا,طولا بشق الرؤوس وعرضا بقطع الرقاب وهذا دليل على حدتها وسرعتها وبراعة أصحابها .

****

ـ بناء القصيدة الجاهلية ـ

الشعر الجاهلي ضربان:

1- المقطّعات	2- القصائد

المقطعة/هي مادون السبعة أبيات

ونجد فيها الوحدة الموضوعية(أي تتحدث

حول موضوع واحد)والتجربة الشعورية

الصادقة لأنها ترجمان للعواطف والأحاسيس

ولم تصدر عن صناعة وتكلف.

والقصائد قسمان:

قصيدة بسيطة	وقصيدة مركبة	
القصيدة البسيطه تقترب من المقطعات من ناحية الوحدة الموضوعية فهي تتناول موضوعا واحدا فقط	وهي التي تتعدد موضوعاتها ونجدها على قسمين	
	ثنائية الفصل	متعدد الفصول
	(طلل ومدح) أو(طلل و رحله)	(طلل/رحله/مدح) (طَلل/رحلة/فخر)

وعلى هذا فالحديث عن بناء القصيدة ومراحل تكوينها لا ينصرف إلا إلى القصائد الطوال(المركبة)هذه القصائد التي تتعد فيها الموضوعات وتسير على نظام معين ونسق موروث سنه القدماء منذ عهد متقدم في الجاهلية.

فصول(شرائح)القصيدة العربية المركبة:ـ

أ- المطلع :

لقد انصرفت عناية الشعراء منذ القديم إلى الاهتمام بمطالع قصائدهم لأنها أول ما تفاجئ السامع فلا بد أن يكون لها وقع حسن ولذلك فقد حمد النقاد للشعراء مطالعهم الحسنة التي تكون واضحة سهلة المأخذ مع القوة والجزالة،وقد لاحظوا كذلك التناسب بين الشطر والعجز وترابط المعنى بينهما،وكذلك لاحظوا مناسبة المطلع لموضوع القصيدة فإذا كان المقام مقام حزن كان الأولى بالمطلع أن ينبئ بذلك من أول بيت،وهكذا

ونجد أن الشاعر الذي يجيد في مطلعه يحقق حسن الابتداء وبراعة الاستهلال.

ب- المقدمة :

وهي التي تقع في بداية القصيدة وقد وجدت للمقدمات أنواع في الشعر الجاهلي من هذه الأنواع:ـ

1- المقدمة الطللية :

والطلل هو/ما شخص من آثار الديار مثل:الخيمة،الأثافي،الوتد،حطب الولائد.

أما الرُّسوم/فمعناها،ماكان لاصقاً بالأرض مثل:بعر الأرام،الرماد.

أما أهم العوامل المؤثرة في حياة الطلل وشكله فهي:ـ

- الرياح - الأمطار - الماشية

- والمقدمة الطللية هي أكثر المقدمات انتشاراً في صدور قصائد الشعراء الجاهليين **وقد وردت في ثلاثة أشكال:ـ**

الشكل الأول: يتألف من صورة الأطلال بمفردها.

الشكل الثاني:يرسم فيه الشاعر منظر الأطلال ومنظر موكب الظعائن.

الشكل الثالث: يرسم فيه الشاعر صورة الأطلال مع صورة محبوبته.

- **وقد مرت هذه المقدمة بثلاث مراحل:ـ**

المرحلة الأولى:ظهرت عند شعراء المرحلة الفنية الأولى،وقد كانت صورة طبيعية بسيطة غير معقدة وأشهر مقدمات هذه المرحلة:مقدمة معلقة امرئ القيس.

المرحلة الثانية:ظهرت عند شعراء مدرسة الصنعة (عبيد الشعر)حيث أخذ شعراء هذه المرحلة يطورونها،وقد حاولوا إضفاء عنصر الطرافة والإبداع فيها وأشهر مقدمات هذه المرحلة:مقدمة زهير بن أبي سلمى.

المرحلة الثالثة والأخيرة:وهي التي راح الشعراء فيها يحتذون سابقهم في مقدماتهم ويمثل هذه المرحلة الشعراء الجاهليون في الفترة الأخيرة والشعراء المخضرمون، وأشهر مقدمات هذه المرحلة:مقدمة معلقة لبيد بن ربيعة.

ولقد شملت المقدمة الطللية عدة موضوعات أهمها:ـ

1-الوقوف على الديار.

2-سؤالها،وتكليمها،واستعجامها،والبكاء عليها.

3-وصفها ووصف بقاياها.

4-وصف خرابها والعوامل الطبيعية التي سببت ذلك.

5-وصف الحيوان الذي ألفها بعد خرابها،ورحيل أصحابها عنها.

6-تعدد الأسماء في ثنايا المقدمة الطللية.

وهي إما:أ-أسماء الأماكن(المناطق الجغرافية)

ب-أسماء النساء سواء الزوجات أو المحبوبات.

2-المقدمة الغزلية:

هي مقدمة لا تتحدث عن أطلال الحبيبة وإنما تتحدث عن الحبيبة نفسها وتدور عادة حول موضوعين:ـ

أ-وصف محاسن المرأة الحبيبة

ب-وصف مشاعر الشاعر تجاه محبوبته.

مثل:

ودع هريرة إن الركب مرتحل

وهل تُطيق وداعا أيها الرجل

غراء فرعاء مصقول عوارضها

تمشي الهوينا كما يمشي الوَجِي الوحل

كأن مشيتها من بيت جارتها

مر السحابة لا ريث ولا عجل

3- مقدمة وصف الظعائن:

حيث يصور الشاعر في هذه المقدمة ثلاث مناظر:

أ-استعداد القوم للرحيل.

ب-ما يسبقه من رد الإبل من المرعى،وزم الأمتعة.

ج-ما يشيع في أثناء ذلك من حركة وأصوات.

من ذلك قول المرقش الأكبر:ـ

لمن الظعنُ بالضحى طافيات

شبهها الدَّوم أو خلايا سفينِ

4- مقدمة الفروسية:-

ظهور هذا النوع من المقدمات هو انعكاس للحياة الجاهلية التي اعتمدت على الكر والفر.

وقد ظهرت هذه المقدمة بوضوح عند الشعراء الصعاليك لأن حياتهم تدور أساسها على غارات السلب والنهب،وغالبا ما يُظهر الصعلوك فروسيته في مقدمات قصائده من خلال حواره مع زوجته.

لذلك نجد أن الشاعر الصعلوك يستبدل المقدمة الطللية بمقدمة الفروسية في قصائدة.

5- مقدمة بكاء الشباب:-

أكثر من طرق هذه المقدمة المعمرون من الشعراء فقد انسجمت مع واقع حياتهم، حيث أحسوا أن الشيب قد أدركهم وأن الشباب قد ولت أيامه.

من ذلك مقدمة سلامة السعدي:ـ

أودى الشباب حميدا ذو التعاجيب أودى وذلك شأو غير مطلوب

ولى حثيثا وهذا الشيب يطلبه لو كان يدركه ركض اليعاقيب

6- مقدمة وصف الطيف:

ونعني بالطيف هنا(طيف الحبيبة)الذي يخترق أستار الظلام ويسري في ظلمات الليل حتى يصل إلى الشعراء.

مثل مطلع تأبط شراً:-

يا عيد مالك من شوق وإيراق

ومر طيف على الأهوال طَرَّاق

يسري على الأيْن والحيات مُحتفيا

نفسي فداؤك من سارٍ على ساق

7- مقدمة وصف الليل:

وإن كانت القصائد التي بدئت بذلك قليلة منها قول النابغة الذبياني:

كليني لـهَمٍّ يا أمـيَمـةَ نـاصبِ ولـيـلٍ أقاسية بطـيئ الكـواكـب

تَطَاول حتى قلتُ ليس بمنقضٍ وليس الذي يرعى النجوم بأئب.

8- المقدمة الخمرية:

وهي التي تبدأ بالحديث عن الخمر،ووصف مجالسها بسقاتها وقيانها وندمائها، والشعر الجاهلي يخلو من مثل هذه المقدمات فيما عدا مقدمة معلقة عمرو بن كلثوم التي يقول في مطلعها:-

ألا هبي بصحنك فاصبحينا

ولا تبقي خمور الأندرينا

9- مقدمة العذل أو الحوار:

حيث استهل بعض الشعراء قصائدهم بالشكوى إما من زوجاتهم وإما من أصحابهم من ذلك قصيدة علباء بن أرقم التي كان يشكوى فيها من زوجته إذ يقول في مطلعها:ـ

ألا تلكما عرسي تصُدُّ بوجهها وتزعم في جاراتها أن من ظلم

أبونا،ولم أظلم بشيء عملته سوى ما ترين في القذال من القدم

ونجد أن النقاد القدامى والمعاصرون قد ذهبوا مذاهب شتى في تفسير المقدمة ونستطيع أن نجمل آراءهم حولها في ثلاث اتجاهات رئيسية:ـ

-الاتجاه الأول:يذهب أصحابه إلى أن الهدف من هذه المقدمات صرف انتباه المتلقي إلى الموضوع الرئيسي باستمالته إليه عن طريق الغزل والتشبيب لأن ذلك قريب من النفوس لائط بالقلوب.

-الاتجاه الثاني:يرى أصحابه أن هذه المقدمة إنما كانت تأتي استجابة لأحاسيس الشاعر الذاتية وخواطره النفسية وتفاعله مع بيئته الصحراوية،وجل اصحاب هذا الرأي من المعاصرين.

الاتجاه الثالث:يرى أن المقدمة في القصيدة الجاهلية وغيرها من القصائد إنما هي عبارة عن معاناة فنية أو تدريب لغوي أدبي يمكّن الشاعر من الولوج إلى رحاب القصيدة بعد أن يستكمل عدته.

ج - الانتقال بين فصول القصيدة:

ويسمى عند القدماء(التخلص).

للشعراء طرق متعددة في الانتقال،ضمن أنواع الانتقالات:ـ

أ-الاقتضاب،وهو الانتقال من فصل إلى فصل في القصيدة دون تهيئة بأن يقول: (دع ذا) أو (عدّ عن ذا)

ب-حسن التخلص:هو الانتقال من فصل إلى فصل في القصيدة بتهيئة تمهد للسامع ذلك الانتقال كقول كعب بن زهير منتقلا من الغزل إلى الرحلة:ـ

أمست سعاد بأرضٍ لا يبلِّغها

إلا العتاقُ النجيباتُ المراسيلُ

د- الخاتمة:ـ

تتمثل أهميتها في أنها آخر مايبقى في ذهن السامعين من القصيدة فعليه أن يجود الخاتمة كما جود المطلع،وعادة تختم بعض القصائد بالحكمة التي تلخص رؤية الشاعر.

*نموذج للمقدمة الطللية من معلقة إمرؤ القيس *

الأبيات :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ	
	بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ
فَتُوْضِحَ فَالمِقْراةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُها	
	لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وشَمْأَلِ
تَرَى بَعَرَ الأرْآمِ فِي عَرَصَاتِهَا	
	وَقِيْعَانِهَا كَأَنَّهُ حَبُّ فُلْفُلِ
كَأَنِّي غَدَاةَ البَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا	
	لَدَى سَمُرَاتِ الحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ
وُقُوْفاً بِهَا صَحْبِي عَلَّي مَطِيَّهُمُ	
	يَقُوْلُوْنَ لاَ تَهْلِكْ أَسَىً وَتَجَمَّلِ
وإِنَّ شِفَائِي عَبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ	
	فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ

كَدَأْبِكَ مِنْ أُمِّ الحُوَيْرِثِ قَبْلَهَـا	
	وَجَـارَتِهَا أُمِّ الرَّبَابِ بِمَأْسَلِ
إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ المِسْكُ مِنْهُمَـا	
	نَسِيْمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرَيَّا القَرَنْفُلِ
فَفَاضَتْ دُمُوْعُ العَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً	
	عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَّ دَمْعِي مِحْمَلِي

شرح الأبيات :

قفا نبكي من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل.

يبدأ الشاعر قصيدته بالطلب من مرافقيه بالوقوف معه،أو من مرافقه على قول من ذكر أن العرب تخاطب الواحد مخاطبة الاثنين،أو تخاطبه تثنيةً على سبيل التوكيد "بمعنى قف قف".

فالشاعر يقول قفا وأعيناني على البكاء من أجل تذكري حبيباً فارقته ومنزلا خرجت منه وذلك المنزل أو الحبيب أو البكاء بمنقطع الرمل المعوج بين الدخول فحومل.

والشاعر يفتتح هذه القصيدة بما لم تفتتح به قصيدة من قبل فقد بلغ الغاية في الإتقان والتجويد لأن الشاعر بكى واستبكى ووقف واستوقف في شطر بيت،فالقدرة على الإيجاز مع وفرة الاتساع في المعنى من أهم دلائل التميز.

وامرؤ القيس يتفرد في هذا الشطر عن الشعراء في أمرين:ـ

1- في الوقوف من أجل البكاء.

فلم يقف الشعراء ليبكوا وإنما وقفوا ليسألوا المنازل.

2- وفي البكاء من أجل الذكرى.

ومن هنا فإن امرأ القيس يقيم علاقات جديدة من معان قديمة.

فانتزع الوقوف من "قفا نسأل"إلى قفا نبك.

وانتزع البكاء من علاقاته المألوفة كالبكاء على فراق الأحباب , إلى جعل البكاء لمحض الذكرى.

وعند النظر في هذه القصيدة سنجد أنه لا يوجد بيتاً واحداً،ولا صورة واحدة،ولا خاطرة واحدة خارجه عن هذا المعنى المتسع المكون من هذه الكلمات "قفا نبك من ذكرى"

فكل القصيدة صورة استرجعتها الذكرى وبكاها الشاعر حتى الصيد والمطر.

من هنا نخلص إلى أن المطالع ملخصة للقصائد في كافه أغراضها ومعانيها.

أما الشطر الثاني فهو من الكلام المألوف فسقط اللوى والدخول وحومل كلها أماكن لكن رغم أن هذا الكلام من المألوف إلا أن صياغته كانت سببا في بيان القدرة اللغوية عند امرؤ القيس فالباء في قوله"بسقط اللوى"قالوا أنها متعلقة بقفا أي:قفا بهذه الأماكن ،أو متعلقة بنبك أي : نبك بهذه الأماكن , أو هي صله لمنزل،وهذا من سخاء كلام امرأ القيس لأن تنوع الوجوه التي يحتملها الكلام لا يكون إلا لبراعته في استعمال لغته.

فتوضع فالمقراة لم يقف رسمها

لما نسجتها من جنوب وشمائل

الشاعر في هذا البيت يكمل تحديد ذلك المنزل الذي هو بسقط اللوى وأنه بين أربعة مواضع بين الدخول فحومل فتوضع فالمقراة.

وبعد هذا التحديد العام للمكان شرع في النظر فيه فوجد آثاره باقية لم تنمحِ ولم تذهب لأنه إذا غطتها إحدى الريحين بالتراب كشفت الأخرى التراب عنها.

ترى بعد الأرام في عرصاتها

وقيعانها كأنه حب فلفل

يقول أنظر بعينك ترى هذه الديار التي كانت مأهولة بأهلها ومأنوسة بهم خصبة الأرض كيف غادرها أهلها وأقفرت من بعدهم أرضها

وسكنت رملها الظباء ونثرت في ساحاتها بعرها حتى تراه كأنه حب الفلفل في مستوى رحباتها.

وإنما ذكر بعر الأرام وأنه تقادم عهده حتى يبس وضمر وصار كحب الفلفل لأنه أراد بذلك أن يؤكد تقادم العهد،وأنه يجد لذع الذكرى مع هذا التقادم،ثم إنه أشار إلى أن هذه المنازل قد تحمَّل عنها ساكنوها ممن أحب وسكنها جيل آخر من الأرام وذهب هو الآخر كما ذهب الأول والكل في طريقه إلى الفناء,وهذا فيه تأكيد لمعنى "قفا نبك من ذكرى"

كأني غداة البين يوم تحملوا

لدى سمرات الحي ناقِفُ حنظل

والشاعر ما أن يفرغ من إلحاق بعر الآرام بحب الفلفل حتى يشرع في إلحاق نفسه بناقف حنظل,وناقف الحنظل هو الذي يستخرج حبه وتدمع عيناه لحرارة الحنظل,

ولا يستطيع كف دموعه,وإنما خص ناقف الحنظل لأنه لا يملك سيلان دمعه كما لا يملكه من اشتد شوقه وحزنه.

وكان يستطيع الشاعر أن يقول كأني يوم تحملوا دون أن يذكر البين ولكن الكلام حينئذ سيخلو من كلمة البين ومالها من إيحاء موحش وهو المقصود هنا.

والشاعر في هذا البيت يعود إلى الخلف إلى زمن الرحيل لكنه لا يتحدث عن هذا الرحيل في ظعائنه أو طرقه وإنما يتحدث عن حاله في هذا الزمن الذي كان فيه ارتحالهم.

وقوفا بها صحبى عليّ مطيهم

يقولون لا تهلك أسى وتجمَّلِ

"وقوفاً"منصوبه في هذا البيت الخامس على المصدر"قفا"التي هي أول كلمة في القصيدة

أي قفا وقوفاً وهذا الارتباط جميل جداً

فالشاعر بعد أن رأى تحول المكان والوحشة السائدة فيه طفق في البكاء على هذا التحول،ثم أراد أن يتخلص من ذلك فتكلم عن حاله وعن موقف أصحابه منه فقال:وقفوا علي أي لأجلي أو على رأسي لهم اعتلاني وأنا قاعد عند رواحلهم ومراكبهم,يقولون لي:لا تهلك من فرط الحزن وشدة الجزع وتحمل الصبر.

وإن شفائي عبرة مهراقة

فهل عند رسم دارس من مُعوَّلِ

بعد أن نصحه أصدقائه بالصبر بدأ في البحث عما يشفيه من هذا الهم فوجد أن شفائه وبرئه من ذلك الداء يكون بدمع مصبوب.

ثم بعد ذلك قال:وهل ينفع البكاء عند الرسم الدارس؟ وهذا الاستفهام يتضمن معنى الإنكار فلا طائل من البكاء في هذا الموضع لأنه لا يرد الأحبة.

كدأبك من أم الحويرث قبلها

وجارتها أم الرباب بمأسل

يقول الشاعر أن عادتك في حب هذه التي ارتحلت كعادتك من أم الحويرث وأم الرباب,فقلة حظك من وصال هذه ومعاناتك الوجود بها كقلة حظك من وصالهما ومعاناتك الوجد بهما.

فالشاعر في هذا البيت يريد أن يؤكد على أن الذي حدث له من الهم ليس حدثاً فريداً في حياته بل هو مسبوق بنظائر من أم الحوارث وأم الرباب.

إذا قامتا تضوع المسك منهما

نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

يقول:إذا قامتا فجاءت منهما رائحة المسك فكأن نسيم الصَّبا جاءت بالرائحة الطيبة من القرنفل , فهو يشبه رائحتهما برائحة المسك التي تشبه رائحة القرنفل الطيبة التي يجلبها نسيم الصبا .

واستخدم الشاعر نسيم الصبا ليناسب المقام.

ففاضت دموع العين مني صبابة

على النحر حتى بل دمعي محملي

يقول فسالت دموع عيني من فرط وجدي وشدة حنيني حتى بل دمعي حمالة سيفي.

أهم الملاحظات على المقدمة الطللية عند امرئ القيس:ـ

1- ظاهرة البكاء على الطلل واضحة وجلية عند الشاعر.

2- اهتمام الشاعر بتحديد مكان الطلل الجغرافي.

3- تأكيده على فكرة ثبات الطلل.

4- اهتمامه بذكر التفصيلات الدقيقة للطلل"من خلال حديثه عن بعر الأرام الموجود في جنباتها"

5- استخدام أسلوب الاستفهام في مخاطبة الطلل الذي يبدو في نظره جماد،لا ينطق ولا يحاور.

6- اهتمامه بذكر أسماء محبوبتبه.

7- كثرة استخدامه للصور المحسوسة خاصة البصرية منها كما في البيت الثالث والرابع والتاسع.

8- استدعاؤه صحبه للوقوف على الطلل.

*خصائص الشعر الجاهلي *

1- الطابع البدوي:

الشعر الجاهلي مرآة انعكست فيها كل مظاهر الحياة العربية,فقد مثل البيئة خير تمثيل,تناول كل جانب من جوانب البادية فتحدث عنه بتفصيل,صور ما فيها من جبال ووهاد وطرق ممتدة ومرابع خضر,ونبات زاه,ووصف الآثار والدمن,كما وصف السحب والأمطار والسيول ومدافع المياه,رسم مشاهد كثيرة لحيوانها,وقص لكل حيوان قصة,وصور حال هذه الحيوانات في طردها وقتالها،في أمنها وفي خوفها,صورها قطعانا مجتمعة,وأفرادا عازبة,واستعار منها تشبيهاته وصوره, تحدث عن المنازل والديار,كما تحدث عن ارتحال أهلها,ووصف قوافلهم وهوادج نسائهم,وتابعها في سيرها فرسم مخططا لرحلتها مبينا المواضع التي تنزل فيها, والأماكن التي تمر بها،ولم ينس أن يصف ما خلف الظاعنون من الحجارة والأثافي والثمام.

ولم يغادر الشعر جانبا من جوانب الحياة البدوية إلا تحدث عنه وسجله وصوره,

ولذلك نجد فيه صورة للعصر صادقة,في الحرب والسلم,في مثله العليا وعاداته وطبيعة أهله,وصف خير العصر وما فيه من نعمة وبركة,كما وصف بؤسه وشقاءه وما ينزل به من جدب وقحط,صور حر الهاجرة ولفح السموم,كما صور ريح الشمال وجمد الشتاء الذي يخرس الناس ويكفتهم في بيوتهم.

وأقرأ فيه أية قطعة أو قصيدة من ذلك الشعر،فأنك واجد فيها ريح البادية وطعم الصحراء,فكل صوره ومعانيه منتزعة من بيئته مصورة لها أصدق تصوير,لا يشذ عن ذلك إلا في القليل النادر,وهذا القليل كان من إتصال بعض الشعراء بأسباب الحضارة,ومن وفادتهم على ملوك الحيرة أو ملوك الشام أو اليمن,وتجد ذلك واضحا في شعر الشعراء الذين يفدون إلى الحضارة,كالأعشى والنابغة الذبياني,وشعر شعراء الحاضرة كحسان بن ثابت وأمية بن أبي الصلت.

ولا شك أن هذا الأثر البدوي الواضح الذي ترك وسمه على شعر الشعراء له جرائره على الشعر الجاهلي,ذلك أنه حدد أفق الشعراء في إطار البيئة الذي لا يتجدد,فضعف خيالهم وتشابهت صورهم,وظهر من جراء ذلك:التكرار في الصور والمعاني,سواء في ذلك المعاني المتكررة عند الشعراء,أم عند الشاعر الواحد.

2- الواقعية والوضوح:

لعل أبرز هذه الواقعية أن الشعر الجاهلي استمد مادته من الحياة,فصور البيئة - كما تقدم – أصدق تصوير,وهو تصوير واضح جلي لا خفاء فيه,بسيط لا غلو فيه,بعيد عن المبالغة والتعقيد,فمعاني الشعر واضحة وبسيطة تلائم الفطرة وتنسجم وطبيعة المجتمع البدوي,ولا شك أن البساطة والوضوح أثران من آثار البيئة وصفاء الذهن واعتدال المزاج,وهما يدلان على عقلية هادئة مستقرة لا اضطراب فيها ولا قلق,فلا غموض ولا تفلسف,ولا أريد هنا بالبساطة السذاجة والبدائية - كما قد يظن- فالشعر الجاهلي من حيث معانيه وأخيلته ولغته,يدل على رقي عقلي وصفاء ذهني وعناية فنية ومهارة في صناعة الشعر وصياغة معانيه وصوره,والبساطة لا تناقض إجالة النظر وصقل الفكرة وشحذ الذهن وغير ذلك من الوسائل التي يجود بها الشعر,وليس الفن كله معقدا ومركبا,بل منه البسيط الواضح الذي يلائم الفطرة والطبيعة الصحراوية,ومنه المركب المعقد المغرق في الخيال الذي هو نتاج الحضارة والمدنية,والبيئة البدوية مكشوفة مضيئة,فضاؤها رحب يمتد فيه البصر, والشمس ساطعة وحياة الشعراء سهلة بسيطة,فلم تكن - لأجل ذلك - تراود خيالهم الغاز معمية أو هواجس خفية,فكان من الطبيعي أن يستمد الشعراء صورهم وأخيلتهم من الواقع الواضح,لأنهم لا يتخيلون من وراء حجاب,فجاءت معانيهم واضحة بسيطة لأنها عالجت حياة بسيطة واضحة بعيدة عن الحضارة - إلا قليلا - وما يتبع الحضارة من أدب يميل إلى الإغراب والمبالغة.

ومن مظاهر هذه البساطة في الشعر الجاهلي:الصدق في التعبير وفي نقل الصور والمشاهد نقلاً يكاد يكون أمينا,وبخاصة حين يذكرون المواضع ويناجون الديار, وحين يفخرون أو يرثون فلا يبالغون في الخيال ولا يسرفون في التصور,وذلك لأنهم يتحدثون عن أحوال رأوها وتجارب مارسوها وذكريات أحسوا بها.

3- التصوير:

يكثر التصوير في الشعر الجاهلي كثرة واضحة,وبخاصة الوصف,حيث يرسم الشاعر مناظر ومشاهد رائعة مكتملة الجوانب,فهو يلم بالصورة إلماما تاما,ثم يدقق في أجزائها,ويحصر أطرافها,ويستقصي جوانبها,وهذا – لاشك – دليل التمكن في الفن والدقة في التعبير وخصب الخيال,فالشاعر الجاهلي يرسم لوحات كاملة,يعني بكل تفاصيلها وأجزائها على الرغم من إيجازها.

الشمول في الوصف,والتدقيق في الصورة,والعناية بالجزيئات والتفاصيل,كل ذلك دليل عناية الشاعر,لتأتي صوره كاملة معبرة وافية,فيها تحبير وتحقيق وتدقيق,وهذه أبرز صفات الصورة عند فحول الشعراء ومجيديهم.

وقد عرفت الصورة الجاهلية في أكثرها أنها تصوير لهيئة الموصوف,وصف لشكله الخارجي وهذا الوصف حسي مادي,وقد اقتضى ذلك عناية بالأجزاء والتفاصيل, واهتماما كثيرا بالتشبيه,وعرض صور كثيرة للمشبه به بحيث يدعو ذلك إلى الاستطراد والخروج عن الأصل.

ولكن بعض الشعراء وجهوا عنايتهم إلى وصف الحالة,حالة الموصوف,سواء كان حيوانا أم إنسانا,وصفوه وصفا داخليا,صوروا فيه الحياة والحركة,وتحدثوا عن نزعاته النفسية والعاطفية من حب وكره وخوف وضعف وجرأة وإقدام,صوروا نشاطه ومرحه,حركاته وسكناته,زهوه وخيلاءه,وحتى أفكاره في بعض الأحيان.

النثر الفني في العصر الجاهلي

حينما تقال كلمة " النثر الفني " في مجال الدراسات الأدبية , فالمراد منها النثر البليغ الذي يتحقق فيه قدر من جمال الصياغة وسبك العبارة .

والنثر بهذا المعنى لونان : نثر قيل مشافهة في محفل , كالخطابة , وإن دون بعد ذلك . ونثر دوّنه صاحبه منذ البدء , وهو ما يسمى بالكتابة الفنية . وكلاهما يتدثر بالتجويد والتحبير , إلا أن اللون الشفهي يصدر عن طبيعة وسجية وسليقة ولا شيء بعد , أما الثاني وهو الكتابي فيضيف إلى الطبيعة والسجية والسليقة , ترويا في تجويد المعنى , وتأنيا في اختيار الألفاظ قبل كتابتها ـ أو جَلْوَها بعد كتابتها ـ لتخرج محبَّرة مجودة ؛ لأنه لا يقصد منها الإفهام وحده , وإنما يقصد أيضا إثارة اللذة عند القارئ , والإحساس بالجمال .

و ما تكلمت به العرب من جيد المنثور قبل الإسلام أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون , لكن لم يحفظ من المنثور عشره ، وإنما تعود قلة النثر الجاهلي بالنسبة لما روي من الشعر للأسباب الآتية:

1- سهولة حفظ الشعر لما فيه من إيقاع موسيقي. 2- الاهتمام بنبوغ شاعر في القبيلة يدافع عنها ويفخر بها.
3- قلة أو انعدام التدوين، والاعتماد على الحفظ والرواية.

وبالرغم من عدم وجود أي سجل أو كتاب مدون يحتوي على نصوص النثر الجاهلي في تلك الفترة من الزمن الغابر، إذ كان الناس يحفظونها ويتناقلونها عن طريق الرواية الشفاهية، مثل الشعر، إلا أن الدارسين المحققين لهذا التراث الأدبي العربي ذكروا من أنواع النثر الأدبي في تلك الفترة بعض الأنواع منها:

الخطابة ، الوصايا ، الأمثال و الحكم ، المفاخرات والمنافرات

1-الخطابة :

الخطابة هي فن مخاطبة الجماهير، بغية الإقناع والإمتاع، بكلام بليغ وجيز. فهي قطعة من النثر الرفيع، قد تطول أو تقصر حسب الحاجة لها. وهي من أقدم فنون النثر .

وقد ثبت أن الخطابة كانت حاضرة في مناسبات شتى في العصر الجاهلي . فبالخطبة كانوا يحرضون على القتال استثارة للهمم , وشحذا للعزائم , وبها كانوا يحثون على شن الغارات , حبا في الغنيمة , أو بثا للحمية رغبة في الأخذ بالثأر , وبالخطابة كانوا يدعون للسلم , حقنا للدماء , ومحافظة على أواصر القربى أو المودة والصلة . وبالخطابة كانوا يقومون بواجب الصلح بين المتنافرين أو المتنازعين , ويؤدون مهام السفارات(الوفادة على الملوك) جلبا لمنفعة , أو درءا لبلاء , أو تهنئة بنعمة , أو تعزية أو مواساة في مصيبة .

وقد اتخذ الخطباء من الأسواق والمحافل العظام ومن مضارب خيامهم ووفادتهم على الملوك والأمراء ميادين لإظهار براعتهم وتفننهم في المقال ونسج الكلام .

أما أسباب ازدهار الخطبة في العصر الجاهلي فهي :

1 - حرية القول فالخطابة تقوى وتزدهر وتنهض في ظلال الحرية وكنفها , والجاهليون لم يكن ينقصهم شيء من الحرية فقد كان إقليمهم طليقا , كل شيء فيه يحيا حرا على الفطرة , فعاشوا ككل من حولهم , لا يقيدهم قيد , ولا يدينون لحاكم , ولا يخضعون لقانون .

2- الملكة البيانية التي فطروا عليها فهم أهل فصاحة وبيان وحضور بديهة , يقول الجاحظ : " وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال , وكأنه إلهام ... كان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر وهم عليه أقدر وله أقهر , وكل واحد في نفسه أنطق ومكانه من البيان أرفع " .

أسلوب الخطابة في الجاهلية :

كان رائع اللفظ خلاب العبارة , واضح المنهج قصير السجع كثير الأمثال , وذلك لان خطباء الجاهلية كانوا ينتقون الألفاظ ويتحيرون المعاني , فجاءت ألفاظهم غاية في القوة والمعاني رائعة مألوفة . ويقول الزيات : " قد امتازت الخطابة في الجاهلية بجريانها مع الطبع , فليس فيها تكلف ولا زخرف ولا غلو , لحمتها الخيال , وسداها البلاغة , تسير مع أخلاق البدوي وبيئته , فهو قوي اللفظ , متين التركيب , قصير الجملة , موجز الأسلوب , قريب الإشارة "

وكانت خطبهم معروفة بالطول والقصر , بيد أنهم كانوا إلى قصارها أميل لتكون أعلق في الصدور , وأذيع بين الناس . وكان للخطب عندهم أسماء خاصة كالعجوز والعذراء والشوهاء .

- وللخطيب في الجاهلية عادات يلتزمون بها , ومنها :

1- الوقوف على نشر من الأرض (مكان عالي من الأرض) .
2- القيام على ظهر دابة .
3- طي العمائم على رؤوسهم .
4- الإشارة في أثناء خطابتهم بالعصي والرماح والقضبان والقسي .

- كما كان العرب يمدحون في الخطيب جهارة صوته وشدته , وحسن الشارة وسلامة المنطق , ويعيبون ضيقه ودقته , والارتعاش والرعدة , أو الحصر والعي وكانوا يستحسنون فيه رباطة الجأش وقلة اللحظ وتخير الألفاظ .
- ومن خطباء العرب في الجاهلية : أبو طالب بن عبد المطلب , وعتبة بن ربيعة , وقُس بن ساعدة الإيادي , وأكثم بن صيفي .

نموذج لفن الخطابة في العصر الجاهلي :

" إنما المرء بأصغريه : قلبِه ولسانِه ، فبلاغُ المنطقِ السَّدادُ ، وملاكُ النجُّعةِ الارتيادُ ، وعفُو الرأي خير من استكراهِ الفكرةِ، وتوقيفُ الخبرةِ خيرٌ من اعتساف الحَيْرة .

فاجتبذ طاعتنا بعفوك ، واكتظم بادرتَنا بحلمك ، وألنْ لنَا كنَفَك يلنْ لكَ قيادُنا ، فإنا أُناسٌ لم يوقِصْ صفاتنا قِراع مناقير من أراد لنا قضماً ، ولكن منعنا حِمَانا مِن كلِّ مَن رامَ لنا هَضْماً "

الخطيب :هو عمرو بن معد يكرب ,فارس من فرسان الجاهلية المعدودين ومن أبطال الإسلام المعروفين , أسلم سنة تسعة للهجرة ثم ارتد ثم عاد إلى الإسلام , وأبلى في القادسية بلاء حسنا , توفي في خلافة عمر بن الخطاب وهو خطيب من الدرجة الأولى , وشاعر من الطبقة الوسطى .

المعاني الجزئية في النص :

بلاغ المنطق السداد : أي هدف الحديث المنطوق أن يكون صائبا

ملاك النجعة الارتياد : النجعة : النزول بالمكان . والارتياد : المقصود به الاستكشاف , وقد كان العرب لا ينزلون بمكان إلا بعد أن يرسلوا من يرتاده أي يختبر مدى صلاحيته للإقامة فيه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن الرائد لا يكذب أهله "

عفو الرأي : ما تمليه البديهة ويفرضه الموقف دون تكلف .

اعتساف الفكرة : من العسف أي الإكراه , والمقصود هنا بتوقيف الخبرة : تحكيمها واستهامها والاستفادة منها بدلا من الوقوع بين براثن التردد والحيرة .

اجتبذ : اجتذب , اكتظم بادرتنا بحلمك : توق غضبنا بسعة صدرك .

ألن كنفك : كن لين الجانب , يوقص : أي يحقر وينقص من شأنها .

أهم الخصائص الأسلوبية لهذا النص :

1- الإيجاز , فالبلاغة عند العرب تتمثل في هذه الخصلة أي تركيز المعنى وتكثيفه تعبيرا عن القدرة الفائقة في تضمين الكلام القليل المعنى الكثير .
2- الحكم المتتالية المترابطة , تأتي في صيغة تقرير تبرز فيها النزعة العقلية الصارمة وتتكيء على الجملة الاسمية التي تدل على الثبات والقطع .
3- الصيغ الطلبية في النص مشروطة , بمعنى أن الخطيب حينما استخدم أسلوب الطلب أردفه بالسبب والوسيلة مما لا يترك مجالا للحيرة أو التردد .
4- الكناية سيدة الصورة البيانية , فكل عبارة من عبارات هذه الخطبة يمكن أن تترجم إلى لازم المعنى الذي يصاحب اللفظة حيث التلميح دون التصريح , وقد جاءت الكناية مناسبة هنا في معرض الحديث إلى ملك تمنع مهابته من التوجيه المباشر بالتحذير إليه , فحينما يقول الخطيب : " فإنا أناس لم يوقص صفاتنا قراع مناقير من أراد لنا قضما " يقصد بذلك الملك وما يريده من قومه فأراد أن يوحي له بما يمكن أن يواجه به , فكنّي عن صلابة قومه وأنفتهم بالصخرة , وعن مطامع الملك بنقر العصافير وفي ذلك تحقير لشأنه وتقليل من قيمة قوته وسلطانه .
5- الخطبة على قصرها غنية بالإيقاع , فقصر الجمل وتواليها , ثم نمطية بنائها النحوي مع السجع الخفيف , كل ذلك أشاع نوعا من الإيقاع الظاهر والمستتر الذي يؤثر في نفسية المخاطب تأثيرا بينا .

2- الوصايا :

الوصايا لون نثري قريب من الخطابة إلا أنها أضيق حدودا , وأقل مساحة منها , فهي لا تقدم إلا لمن يهتم الموصي بأمرهم كالأب لابنه والأم لابنتها أو الشيخ لعشيرته , وما شابه ذلك .
ويعتمد المقدم للوصية على خبرة طويلة هي محصلة مجموعة من التجارب التي خاضها في حياته يقدمها لمن يوصيه حتى ينهل ويسترشد بما فيها , وهذه الوصايا غالبا ما تسدى في أوقات السفر والزواج والإحساس بدنو الأجل .
ويعتمد الموصي على البلاغة والسجع وقصر الجمل , والاعتماد على ذكر الشيء ونتاجه , بمعنى أن يقدم نصائحه ووصاياه ويبين أثرها في صيغة الإنسان .

<u>نموذج لفن الوصايا في العصر الجاهلي :</u>

قَالَ أبان بْن تَغْلِب ، وكان عابدًا من عبّاد البصرة : شهدت أعرابية وهي توصي ولدًا لها يريد سفرًا ، وهي تَقُولُ لَهُ : " أَيّ بُنَيّ ، اجلس أمنحْك وصيَّتي ، وبالله تَعَالَى توفيقُك ، فإنَّ الوصية أجدى عليك من كثير عقلك . قَالَ أبان : فوقفتُ مُسْتَمِعًا لكلامها مستحسنًا لوصيتها فإذا هِيَ ، تَقُولُ : أَيّ بني ، إياك

والنميمة ، فَإِنَّهَا تَزْرَع الضغينة وتفرّقُ بَيْنَ المحبين ، وإياك والتَّعَرُّض للعيوب ، فتُتَّخذَ غَرَضًا ، وخليق إلّا يثبت الغَرَض عَلَى كثرة السِّهَام ، وقلَّ ما اعْتَوَرَتِ السِّهامُ هَدَفًا إلا كَلَمَتْهُ حَتَّى يَهِي ما اشتدَّ من قُوَّته ، وإياك والجودَ بدينك ، والبخلَ بمالك ، وَإِذَا هَزَرْتَ فاهزُرْ كريمًا يضلِينْ لِهِزَّتك ، وَلا تَهْزُز اللّئيم فَإِنَّهُ صخرة لا يتفجَّرُ ماؤُها ، ومَثِّل لنفسك أمثالَ ما استحسنتَ من غيرك فاعمل بِهِ ، وما استقبحتَ من غيرك فاجْتَنِبْهُ ، فَإِن المرء لا يرى عيب نفسه ، ومن كَانَتْ مودته بِشْرَه ، وخالف ذَلِكَ فِعْلَه ، كَانَ صديقُه منه عَلَى مثل الريح فِي تصرُّفِّها ، ثُمّ أمسكَتْ ، فدنوتُ منها ، فقلت : بِاللَّهِ يا أعرابية إلا زِدْتيه فِي الوصية ، قَالَتْ : أوقد أعجبك كلام الأعراب يا عراقي ؟ قُلْتُ : نعم ، قَالَتْ : والغدر أقبح ما تعامل بِهِ الناسُ بينهم ، ومن جمع الحلم والسخاء فقد أجاد الْحُلَّةَ رَيْطَتَها وسِرْبَالَها " .

خليق : جدير , والصورة تمثيلية , فالغرض هو الهدف , وكثرة السهام المصوبة إلى الهدف لابد أن تزعزعه وتطيح به .

اعتورت السهام غرضا : جعلته هدفا لها فتوالت متتابعة عليه مصوبة نحوه .

كَلَمَته : جرحته , والمقصود هنا أصابته بأذى , حتى يهي: حتى يَضْعف ويصيبه الوهن .

الريطة : كل ثوب رقيق .

السربال : القميص .

الخصائص الأسلوبية للنص :

1- أسلوب التحذير الذي يعد الصيغة النحوية السائدة في مثل : (إياك والنميمة , وإياك والتعرض للعيون , إياك والجود بدينك) و أسلوب الشرط مثل : (وإذا هززت فاهزز كريما يلن لهزتك) وأسلوب الأمر مثل : (ومثل لنفسك مثال ما استحسنت من غيرك فاعمل به , وما استقبحت من غيرك فاجتنبه) و أسلوب النهي مثل : (ولا تهزز لئيما فإن الصخرة لا ينفجر ماؤها)
2- الحكمة الموجزة المكثفة التي تعتصر خلاصة التجربة الحياتية هي قوام النص .
3- التمثيل والكناية والتشبيه الضمني هي الظواهر البلاغية السائدة , فالصخرة التي لا ينفجر ماؤها في معرض الحديث عن البخيل تتضمن تشبيها ضمنيا , والصورة التمثيلية في : الغرض الذي لا يثبت أمام السهام المصوبة نحوه , وفي قولها (من جمع الحلم والسخاء فقد أجاد الحلة ريطتها وسربالها) تشبيه قائم على التمثيل أيضا .
4- النزوع إلى التعليل سمة أسلوبية واضحة , وهي تكشف عن نمط من التفكير يقوم على المنطق والبرهان , في مثل قولها : (إياك والنميمة , فإنها تزرع الضغينة , وتفرق بين المحبين) , و (وما استقبحت من غيرك فاجتنبه , فإن المرأ لا يرى عيب نفسه) .
5- المعجم اللفظي واضح يخلو من الألفاظ الغريبة والحوشية , لأن الغرض لا يحتمل الغرابة فالقصد من الوصية التوجيه لذلك لابد من الوضوح في اللفظ والمعنى .

3- المفاخرات والمنافرات :

المفاخرة : هي مفاخرة القوم بعضهم على بعض بما ينسبونه لأنفسهم من ذكر الحسب والنسب .
أما المنافرة : فهي أن يفتخر الرجلان كل منهما على صاحبه ثم يحكِّمان رجلا يفصل بينهما , وسميت منافرة لأن كل منهما كان يسأل الحكم : أينا أعز نفرا .
ومن هذا اللون الأدبي ما كان بين عامر بن الطفيل العامري وعلقمة بن علاثة العامري , فقد وقفا لبعضهما يتفاخرون , وكان مما قاله عامر : والله لأنا أشرف منك حسبا , واثبت نسبا وأطول سببا , وقال علقمة : أنافرك وإني لمُذر وإنك لعاقر , وإني لوفي وإنك لغادر , وقال عامر: أنافرك وإني أنشر منك أمة وأطول قامة وأبعد همة ..... وامتد الأمر بينهما حتى احتكما إلى هرم الفزاري , الذي قال : لقد تحاكمتما عندي , وأنتما كركبتي البعير تقعان على الأرض معا , فرضيا بقوله وانصرفا .
ولعل هذا الفن كان بذرة لما ظهر في العصر الأموي من غرض شعري يعرف بالنقائض .

4-الأمثال والحكم :

المثل: هو قول محكم الصياغة، قليل اللفظ، موجز العبارة، بليغ التعبير، يوجز تجربة إنسانية عميقة، مضمرة ومختزلة بألفاظه، نتجت عن حادثة أو قصة قيل فيها المثل، ويضرب في الحوادث المشابهة لها . وهو فن أدبي نثري انتشر على الألسن، له مورد وله مضرب.
والحكمة : قول موجز اللفظ يضمن حكما صحيحا مسلما به ورد على لسان رجل ذي تجربة وخبرة .
ومن ذلك : خير الغنى القناعة , وكذلك : أول الحزم المشورة , ومنها العتاب قبل العقاب , وأيضا : آخر الدواء الكي وغير ذلك
والمثل والحكمة يشتركان في الإيجاز والدقة وقوة العبارة , ووضوح الفكرة وروعة الصياغة , لكن يختلف المثل عن الحكمة ,في كونه أكثر انتشارا وشيوعا بين الناس , إضافة إلي أن قائل الحكمة معروف في أغلب الأحيان بينما قائل المثل غير معروف لأن الألسن تتناقل الأمثال فيضيع أصحابها .
ومن خصائص المثل أنه :

1- يشير إلى حادثة معينة ضرب المثل فيها لأول مرة , وتسمى " مورد المثل " ثم يستعمل فيما جاء بعد ذلك من أحداث تشبه الحادثة الأولى , وتسمى الحادثة الجديدة " مضرب المثل "
2- لا يتغير , بل يجري كما جاء على الألسنة , ويبقى ثابت مدى الزمان , وإن خالف قواعد النحو والصرف , فقد جاء في أمثالهم : مجبر أخاك لا بطل , والقياس النحوي مجبر أخوك لا بطل لأن اسم المفعول " مجبر " يرفع ما بعده " نائب فاعل " , بيد أنه لم يغير .
3- ولا تتغير صيغته إذا خوطب به المفرد أو المثنى أو الجمع , المذكر أو المؤنث بل يقال بصيغة واحدة للجميع ,وذلك لأن العرب يستجيزون في الأمثال ما لا يستجيزون في غيرها من سائر الكلام , ومن ذلك قولهم : قطعت جهيزة قول كل خطيب , فيقال المثل للمذكر والمؤنث والاثنان والجمع بلفظ واحد .

وهذه الأمثال من ناحية المورد تنقسم إلى قسمين :

1- ما كان مورده حادثة حقيقية :
مثل قولهم : " قطعت جهيزة قول كل خطيب "ومورد هذا المثل أن قبيلتين تشاجرتا , وقتل من إحداهما شخص , وحاولت القبائل المجاورة الإسراع إلى الصلح حسما للخلاف , ودفع الدية , وبينما هم يخطبون مطالبين أهل القتيل بالرضا بالدية إذ دخلت عليهم جارية تدعى جهيزة فأخبرت المجتمعين أن أهل القتيل قد أخذوا بثأرهم من القاتل . فسكت الخطباء , فقال قائل " قطعت جهيزة قول كل خطيب " ويضرب المثل لمن يأتي بالقول الفصل في القضية عند اختلاف الآراء
2- ما كان مورده حادثة فرضية لم تحدث في الحقيقة :

ومنه : " كيف أعاودك وهذا أثر فأسك " وهذا المثل أخذ من قصة خيالية حيث حكي أن أخوين كانا في إبل لهما, فأجدبت بلادهما, وكان بالقرب منهما وادٍ خصيب, وفيه حيّة تحميه من كلِّ احد, فقال أحدهما للآخر: يا فلان لو أني أتيت هذا الوادي المُكلِئ فرعيتُ فيه إبلي وأصلحتها. فقال له أخوه: إنّي اخاف عليك الحيّة, ألا ترى أن أحداً يهبط ذلك الوادي إلا أهلكته؟ قال: فوالله لأفعلنْ! فهبط الوادي ورعى إبله زماناً. ثم إن الحيّة نهشته فقتلته. فقال أخوه: والله ما في الحياة بعد أخي خير, فلأطلُبنَّ الحية ولأقتلنّها أو لأتبعنّ أخي, فهبط ذلك الوادي وطلب الحيّة ليقتلها; فقالت الحيّة : ألستَ ترى أني قتلت أخاك؟ فهل لك في الصلح فأدعكَ بهذا الوادي تكون فيه, وأعطيكَ كل يوم ديناراً ما بقيت؟ قال: أوَفاعلةٌ أنتِ؟ قالت: نعم. قال: إنّي أفعل. وحلف لها وأعطاها المواثيق لا يضرّها. وصارت تعطيه كل يوم ديناراً, فكثر ماله حتى صار من أغنى الناس وأحسنهم حالاً. ثم إنه ذكرَ أخاه, فقال: كيف ينفعني العيش وأنا أنظر إلى قاتل أخي؟ ثمّ عمد إلى فأس فأخذها; ثمّ كمن لها; فمرّت به فتبعها فضربها فأخطأها ,ودخلت الجُحر, ووقعت الفأس فوق جحرها فأثّرت فيه. فلمّا رأت ما فعل قطعت عنه الدينار; فخاف الرجل شرّها, وندم; فقال لها: هل لك أن نتواثق ونعود إلى ما كنّا عليه؟ فقالت: كيف أعاودك وهذا أثر فأسك؟

- وتمتاز الأمثال بدقتها ووضوح معناها وإيجاز لفظها , وروعة تشبيهها فضلا عن كونها مع مضربها استعارة تمثيلية حيث يستعار المثل من مورده لمضربه .